

11

روايات مصرية للجيب

حرب الجواسيس

وينيل فاروق

Looloo

www.dvd4arab.com



المفتش





العزف على أوتار الخطر

حرب الجواسيس

لم يخل العالم ، ولن يخلو أبداً ، من حرب ما ..

في مكان ما ..

وزمن ما ..

حروب يتقاتل فيها جنود ، وتتصادم فيها أسلحة
ومعدات ، وتسيل معها الدماء أنهاراً .

ولكن هناك ، في كل وقت ، وكل مكان ، حرباً
أخرى ، قد تبدأ وتنتهي ، دون أن يشعر بها سوى
أصحابها فحسب ..

حرب تحتاج إلى القوة ، والبراعة ، والذكاء ، و ...
والمعرفة ..

فهى حرب تدور فى عالم سرى وخاص للغاية ..

حرب العقول ..

والجواسيس ..

كل الجواسيس ..

و. نبيل فاروق

العزف على أوتار الخطر ..

في السادس والعشرين من يونيو ١٩٥٥م ، كانت البداية ..

كانت مصر كلها تكافح ، للتشبث بثورة وليدة ، تسعى لإحداث تغيير شامل ، ليس في مصر وحدها ، ولكن في العالم العربي كله ..

ثورة قلبت كل الموازين في المنطقة ، وأطلقت شرارة قوية ، امتدت بسرعة ، لتشعل الحماس في كل قلب عربي ، وتلهب حمم الوطنية ، في كل شريان ناطق بلغة الضاد ..

العالم كله يتابع تلك الثورة ، في ترقب ، وحذر ، وقلق ..

وأمل أيضاً ..

ولأن الثورة تهدد كل نظام استعماري وكل كيان احتلالي ، في الشرق الأوسط كله ، كان من الطبيعي أن تواجه عصابات ..

وتحديات .. وتآمرات ..

وبكل قوتها ، سعت القوى المضادة لتحطيم الثورة ، وإسقاطها ، وإجهاض مدها ، وإفساد كل علاقة لها بالدول الكبرى ، والعظمى ، في العالم كله ..

لهذا كانت عملية لافون ، التي أطلق عليها فيما بعد اسم فضيحة لافون ..

تنظيم إرهابي يهودي ، سعى لترويع الأمنين ، وتخريب المنشآت ، وإفساد العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والثورة ، عن طريق تفجير بعض المصالح الأمريكية ، في القاهرة والإسكندرية ، تحت قيادة وتخطيط وتنظيم جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلية ..

وعلى الرغم من دقة وسرية ذلك التنظيم ، إلا أن أحد عيون رجال الأمن المصري كشف الأمر ، كما أن أحد أفراد التنظيم نفسه أخطأ في توقيت التفجير ، فاشتعلت إحدى العبوات داخل سرواله ، قبل أن يضعها في دار سينما مستهدفة ..

وسقط التنظيم اليهودي ..

وكانت فضيحة لجهاز المخابرات الإسرائيلية ، الذي أصبح أضحوكة عالمية ، وانتهت باستقالة رئيسه ..

وأدركت الثورة أهمية ألا تكتفى بأجهزة مكافحة الجاسوسية الداخلية فحسب ، وحتمية أن يكون لديها جهاز قوى ، يسعى

للحصول على الأسرار والمعلومات ، وحماية الأمن القومي فى
الداخل والخارج ..

وهكذا ولد جهاز المخابرات العامة المصرية ..

فى الخامس والعشرين من يونيو ١٩٥٥م ، ومنذ نصف
قرن من الزمان ، صدر قرار إنشاء المخابرات ، وبدأ
عملق عظيم ينمو فى المنطقة ..

ولقد كانت البداية أعظم من أن تنشر أو تعلن حينذاك ..

ففى سابقة مدهشة ، التقط جهاز المخابرات الوليد
(رفعت سليمان الجمال) ، الشاب المصرى ، الضائع بين
طموحاته ومتاعبه ، وأدرك أهمية الاستفادة من طبيعته
وإمكانياته ، وبدأ فى تدريبه ، وتطويعه ، ليتحول بعقريّة
نادرة ومدهشة ، إلى (جاك بيتون) ، الشاب اليهودى ،
الموظف بشركة تأمين فى الإسكندرية ، والذى ظهر وسط
أوساط اليهود المغلقة ، وأثار انتباههم بطبيعته ، ووسامته ،
وتدينه ، مما دفعها إلى التقرب منه ، وتعرفه ، وسرعان
ما امتزج بها ، وأصبح جزءاً منها ، على الرغم من صعوبة
مثل هذا الأمر ، فى المجتمعات اليهودية المغلقة ، حتى إن

بعض يهود مصر هم الذين بذلوا الكثير من الجهد ، لإقناعه
بالهجرة إلى إسرائيل ..

وهاجر (رفعت) إلى أرض العدو ، ومد جذوره هناك ،
باعتباره (جاك بيتون) ، رجل الأعمال الوسيم اللبى ،
وسرعان ما أصبح أحد نجوم المجتمع هناك ، وأحد أهم
وأقوى مصادر المعلومات للمخابرات المصرية ، من قلب
إسرائيل ، وأفضل عيونها فى الأرض المحتلة ..

وعبر سنوات وسنوات ، ظل (رفعت) يمثل نموذجاً للعملية
الناجحة ، عندما تزوج .. واستقر ومات ، دون أن ينكشف
أمره ، أو يتطرق إليه الشك لحظة واحدة ، طيلة عمره
كله ..

ولقد حاول جهاز المخابرات الإسرائيلى القيام بعملية مماثلة ،
مع الشقيقة سوريا ، عندما استخدم أحد ضباطه ، وهو
(إيلى حوفى كوهين) ، الذى ولد وتربى فى مصر ، ليدفعه
وسط شوام المهجر ، فى أمريكا الجنوبية ، حتى امتزج
بهم ، وعاش وسطهم ، باعتباره (كامل أمين ثابت) ، قبل
أن يسافر إلى دمشق ، وينضم إلى حزب البعث هناك ،
ويتصرف باعتباره سورى وطنى مخلص ..

ولكن صورة واحدة، نشرتها الصحف الإسرائيلية، أعادت فتح ملف (إيلي كوهين)، عندما كان أحد أعضاء الوحدة اليهودية ١٣١ في مصر، مما دعا المخابرات المصرية إلى إرسال مسئول رفيع المستوى، إلى الرئيس السوري، لكشف (إيلي كوهين)، الذي تم إلقاء القبض عليه، وحوكم وأعدم علناً، ليسقط نجم المخابرات الإسرائيلية، في هاوية الفشل والخسارة ..

ومع اشتعال الحرب على نحو أكثر شراسة بين مصر وإسرائيل، راحت المخابرات المصرية تعمل بكل طاقتها، بجانبها: (الإيجابي)، المسئول عن جمع المعلومات، وتنظيمها، وتنسيقها، وتحليلها، عبر عشرات الوسائل المختلفة، العننية والسرية، وزرع العيون والمندوبين، في قلب المجتمع المدني، والسياسي والعسكري الإسرائيلي، و(السلبى) المسئول عن منع العدو وعيونه من اختراق الأمن القومي، أو الحصول على معلوماتنا السياسية والعسكرية والاقتصادية، لحماية أمننا وسلامتنا ومستقبلنا ..

وفي ضربة موجعة لجهاز المخابرات الإسرائيلي، وبتعاون من الشاب آنذاك، والفنان حالياً (سمير الإسكندراني)، سقطت أقوى شبكة للجاسوسية، في مصر كلها ..

ومع الأخبار والمعلومات، التي غمرت الصحف والمجلات، أدرك العالم كله أننا نمتلك جهاز مخابرات قوى، وهو يستعرض صور الجواسيس، الذين سقطوا في قبضته، ويقرأ عنهم، وعن محاكماتهم، وعن فشل جهاز المخابرات الإسرائيلي، الذي حاول إقناع العالم كله بأنه الأقوى والأفضل ..

وقبل أن يلتقط جهاز المخابرات الإسرائيلي أنفاسه، جاءت الضربة التالية أكثر عنفاً ..

وأكثر نجاحاً ..

لقد سقط رجل مخابرات إسرائيلي، في قبضة المخابرات المصرية .. (باروخ زكى مزراحي)، أيضاً ولد في مصر، وشرب من نيلها، وتعلم في مدارسها وجامعاتها، ثم سافر إلى إسرائيل، وأصبح أحد رجال شرطتها، ثم أحد ضباط مخابراتها فيما بعد ..

وفي اليمن، حاول (باروخ) أن يرصد ويصور السفن المصرية في باب المندب، ولكنه سقط، وانكشف أمره،

على الرغم من كل محاولات تظاهره بالبراءة ، وبأنه تاجر مغربي بسيط ..

وبينما يحاول ويناور ، ويحاور ، فوجئ بضابط مخابرات مصرى يخاطبه باسمه مباشرة ، وكأنما يعلنه أنه لا فائدة من كل ما يفعله ..

وتنهار (باروخ) ، واعترف ، وبقي أن يتم نقله إلى مصر ؛ لاستجوابه ومحاكمته ، وكشف ما لديه من أسرار ومعلومات ..

وسقوط رجال مخابرات يختلف تمامًا عن سقوط جاسوس عادى ، فالجاسوس يعرف فقط ما أخبروه به ، وما لقتوه إياه ، أما ضابط المخابرات فلديه صورة شبه كاملة للجهاز الذى ينتمى إليه ..

أسلوبه ، تنظيمه ، أقسامه .. ونظم تعاملاته ..

لذا فقد حاولت المخابرات الإسرائيلية منع وصول (باروخ) إلى مصر بأى ثمن ، حتى لو أدى هذا إلى قتله ..

وكان تحديًا جديدًا للمخابرات العامة المصرية ، ورجالها ، إلا أنها قبلت التحدى ، وواجهت الخطر ، وقام ضابط المخابرات بنقل (باروخ) إلى القاهرة بالفعل ، بمغامرة تحبس الأنفاس ،

وتتفوق حتى على أفلام المغامرات المثيرة ، على كل المستويات ..

وفى القاهرة ، تم استجواب (باروخ) ، واعتصامه ، قبل أن يصدر الحكم بسجنه لعدة سنوات ..

وحاولت المخابرات الإسرائيلية أن تخدم أحزانتها ومرارتها ، عن طريق زرع جاسوس آخر فى مصر ، وهو مدرب الخيول اليهودى الديانة ، الألمانى الجنسية (لوتز) ، والذى نجح فى التوغل فى المجتمعات العليا ، قبل أن يفاجأ ذات يوم بالمخابرات المصرية تفتحم منزله ، وتلقى القبض عليه ، على نحو جعله يدرك أن أمره قد انكشف بالفعل ، منذ فترة طويلة ..

وفى حديث له ، فى التليفزيون الإسرائيلى ، أبدى (لوتز) دهشته من أن ضابط المخابرات المصرى ، الذى ألقى القبض عليه ، قد دخل منزله ، واتجه إلى مكتبه ، والتقط كتاب الشفرة بالتحديد ، من بين كل الكتب هناك ، مما لم يكن يحمل سوى دلالة واحدة ..

إن المخابرات المصرية قد اخترقت المخابرات الإسرائيلية بوسيلة ما ، وكشفت أمره من قلبها ..

وفي الفترة بين يونيو ١٩٦٧م ، وأكتوبر ١٩٧٣م ، بلغ صراع المخابرات المصرية الإسرائيلية ذروته ، إذ حاول الإسرائيليون استغلال شعور الهزيمة ، في قلوب المصريين ، لتجنيد عدد منهم ، لخيانة أوطانهم ، وكان من بينهم (أحمد الهوان) ، الشاب المصري المخلص ، الذي قاوم محاولة تجنيده ، على الرغم من ضيق حاله ، وصعوبة ظروفه ، وأبلغ المخابرات المصرية مباشرة ، وتعاون معها ، على نحو بارع متقن ، حتى اتخذت المخابرات الإسرائيلية ، ووثقت به تمامًا ، ومنحته أحد أدق وأخطر أجهزة الاتصال لديها ، في ذلك الحين ..

وفي الوقت ذاته ، كانت المخابرات الإسرائيلية قد نجحت في تجنيد (إبراهيم سعيد شاهين) ، و(اشراح على موسى) كجاسوسين لها ، وراحت تنهل من كل ما يرسلونه من معلومات ، واثقة من ولائهما ، حتى إنها منحتهما رتبًا خاصة ، في الجيش الإسرائيلي نفسه ..

وفي وقت واحد تقريباً ، تلقت المخابرات الإسرائيلية صفتين قويتين ، مدويتين ، من المخابرات المصرية ..

لقد سقط (إبراهيم واشراح) ، في نفس الوقت الذي حصل فيه (الهوان) على جهاز الاتصالات الإسرائيلي المتقدم ، ثم أرسلت المخابرات المصرية عبره رسالة ، تعلن فيها المخابرات الإسرائيلية أنه رجلها ..

وتوالى انتصارات المخابرات المصرية ..

ولعل أعظم أعمالها ، عبر نصف قرن من البطولات ، كان التنسيق والتخطيط ، والمشاركة في خطة الخداع الاستراتيجية الرائعة ، التي أوهمت العدو تمامًا ، بأن مصر لا تفكر ، ولا تنوى أبدًا دخول حرب جديدة ، لتحرير أرضها المحتلة ، وأنها قد استقرت في حالة من اللاسلم واللاحرب ، إلى أجل غير مسمى ..

وفي كتابهم (التقصير) ، أكد الإسرائيليون أن كل المعلومات ، التي جمعتها أجهزة استخباراتهم ، من المصادر العلنية والسرية ، كانت تؤكد وتحتم هذه الحقيقة ، حتى أن اندلاع الحرب ، في السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ، قد صدمتهم صدمة عنيفة ، وغيّرت مفاهيمهم تمامًا عن المصريين ، وعن المخابرات العامة المصرية ..

والكتاب يحوى العشرات من التفاصيل ، التى يندى لها جبين الإسرائيليين ، وتعلو بها هامة مخابراتنا ، عبر المبدأ الذى يقول : « وشهد شاهد من أهلها » .. والواقع أن ملحمة الخداع ، التى سبقت حرب ٧٣ ، كانت مثالا للدقة المتناهية ، والتسيق الشديد ، والبراعة بلا حدود و ...

ولأن حرب المخابرات والجاسوسية لا تنقطع أبداً ، فى السلم والحرب ، فإن نهاية الحرب لم تعن نهاية الصراع ، الذى تواصل عبر الزمن فى العقد الأخير من القرن العشرين ، والسنوات الأولى من القرن الحادى والعشرين أيضا ..

كل ما حدث هو أن طبيعة الصراع فقط تغيرت ، مع تغير الأهداف ، وخريطة المنطقة ، ومتطلبات العصر الحديث ..

الحصول على المعلومات أصبح يستلزم جهداً أكبر ، وتكنولوجيا أكثر تطوراً ، واتجاهات جديدة تماماً ، اقتصادية ، ومدنية ، وعلمية ..

والصراع صار أكثر دقة وصعوبة وإرهاقاً ..

وعلى عكس ما يتصور العديون ، وظل الجاسوس البشرى أحد أهم مصادر المعلومات ، وأكثرها قوة ومصداقية ..

وقامت المخابرات المصرية بعملها على أكمل وجه ..

وواصلت قتالها من أجل حماية الأمن القومى ، وأسرار الوطن ومعلوماته ..

وقرأنا من قضايا جاسوسية ..

وعن جواسيس كشفتهم وأسقطتهم وأوقعت بهم المخابرات العامة ..

وأدركنا أن الرجال مازالوا يسهرون لحمايتنا ، ورعايتنا ، والحفاظ على أمننا وسلامتنا ..

فتحية لكل من بذل العرق والجهد والدم ، فى سبيل هذا الوطن ..

تحية لكل من ذاق عظمة الفداء ، ونعم بروضة التضحية ..

موسوعة الجاسوسية :

إم إس إس

MSS

وزارة أمن الدولة ، وكالة أساسية صينية لجمع الاستخبارات
و(الاستخبارات المضادة) .

خرجت من إطار كونها مكتبًا ، لتصبح في مرتبة وزارة في
١٩٨٣م ، جاء تصميم الـ MSS بعد الـ (KGB) ، على الأقل
للمراقبة المحلية ، وللسيطرة على جهاز الاستخبارات
الصيني المعقد ..

والسبب الذي من أجله تأسست الـ MSS ، كما ذكر
القانون الصيني في يوليو ١٩٨٢م ، كان لمقاومة وكالات
التجسس الأجنبية ، ولقد نص القانون على التالي :

« حيث إن الصين تبنت سياسة الانفتاح على العالم الخارجي ،
فإن وكالات الاستخبارات أو الخدمات السرية لبعض الدول
الأجنبية ، قد زودت من أنشطتها ؛ للحصول على أسرار الدولة
الصينية ، وأرسلت عملاء خصوصيين داخل الصين ؛ لأغراض
مخرّبة وهدامة . »

تحية للساهرين الصامتين ، اليقظين دوماً ..

تحية لمصر ، ومن مصر ، وشعبها ، وقلوبها في اليوبيل
الذهبي لرجالها ..

رجال المخابرات العامة المصرية

و. نبيل فاروق

كان لدى وكالات الاستخبارات الغربية معلومات نادرة وغير
جديرة بالثقة عن الـ MSS حتى ١٩٨٥م ، عندما انشق
يوزنسان ، المدير السابق لمكتب الشؤون الخارجية بالـ MSS ..

ومن المحتمل أن يوزنسان قد كشف (لارى دو - تاى
تشينى) ، مستخدم للـ CIA لفترة طويلة ، والذي قبض
عليه بتهمة التجسس فى ١٩٨٥م .

حافظت الـ MSS على المكاتب المخصصة لتايوان ، وهونج
كونج ، وماكاو ، مع مكتب الشؤون الخارجية ، الذى يشرف على
عمليات الـ MSS فى أى مكان آخر فى العالم ، وازداد جمع
الاستخبارات بحدة فى هونج كونج وماكاو ، فى السنوات
الأخيرة ؛ بعد عودة هذه المقاطعات المستعمرة إلى الصين ..

تتعقب الـ MSS أيضاً الصينيين الخارجيين عن النظام ،
داخل الدول الأخرى ، وتشرف على المراقبة على الأجانب ،
خاصة الصحفيين ، كما تدير الـ MSS معهد العلاقات
الدولية المعاصرة ، وهو صهرىج فكرى صينى فى
Beijing ، وليس لديه روابط حكومية ظاهرياً فقط ، وينشر
المعهد جورنال سرى ، (العلاقات الدولية المعاصرة) ، وله
تداول محدود بين كبار مسئولى الحزب الشيوعى ..

ولقد فتحت الـ MSS أيضاً كلية Beijing للعلاقات الدولية ،
والتي فى حقيقتها مدرسة تجسس تدرب مستخدمى الـ MSS .

الخدعة الطبية

(قصة واقعية)

الخدعة الطبية !!

(قصة واقعية)

سبتمبر ١٩٧٣ م ..

اقتربت ساعة الصفر ، وبدأ العد التنازلي لحرب أكتوبر ، وبلغت حرارة الرجال حدًا مخيفًا ، على الرغم من انخفاض درجات الحرارة الفعلية ، ووصولها إلى معدلات معتدلة ، بالنسبة لهذه الفترة من العام ..

فكل شيء ينبغي دراسته بمنتهى الدقة والعناية ، حتى أدق أدق التفاصيل بحيث تَمْضِي الخطة في مسارها ، دون أن ينتبه العدو ، أو تلتقط عينونه لمحة واحدة ، يمكن أن تفصح عما يديره جيشنا ، وتعدده له قيادتنا السياسية والعسكرية ..

ولم يعد هناك وقت للنوم .. الجميع صاروا يعملون ليلاً ونهاراً ، بلا انقطاع تقريباً ، وكل فريق منهم يعيد دراسة الأمور ، وتقييمها ، في ظل ما يستجد من معلومات ، يتولى عدد من أمهر الجواسيس والعملاء جمعها بلا هوادة ، من كل المصادر الممكنة ، في قلب النسيج الأساسي للعدو ..

وكلما برزت مشكلة ، كان على الرجال أن يفحصوا ويمحصوا ، ويجاهدوا للبحث عن أفضل الحلول لها ، وبأكثر الوسائل سلامة وأمنًا ..

وفي الوقت ذاته كانت هناك مشكلات معتادة وتقليدية ، في كل الحروب يدركها ويعلمها العدو ، تمامًا مثلما ندركها ونعلمها ، ومن الضروري أن يجد الخبراء لها حلولاً مبتكرة وجديدة ، بحيث لا ينتبه العدو إلى هذه الحلول التي تقوده بالطبع إلى وجود المشكلة وارتباطها الحتمي بقرب اندلاع الحرب ..

ومن أكبر هذه المشكلات وأكثرها أهمية ، مشكلة توفير أماكن العلاج للمصابين الذين قدر الخبراء أنهم سيبلغون خمسين في المائة في موجة العبور الأولى ، ثم يتناقص العدد بعدها تدريجيًا ..

وطبقًا لتقديرات الخبراء ، كان من الضروري ، بل من المحتم أن يتم إخلاء عدد من المستشفيات المدنية ، حتى يمكنها استقبال كل هذا الغد الذي لن تستوعبه مستشفيات القوات المسلحة وحدها حتمًا ..

ومن أجل هذه المشكلة اجتمع الرجال كثيراً وطويلاً ،
وراحوا يدرسون ويفكرون ، ويناقدون ويتجادلون ..

وفى اهتمام شديد ، قال أحدهم ، وهو يرتشف رشفة من
قدح القهوة الساخن ، فى الرابعة والنصف صباحاً :

- « المشكلة أن إخلاء المستشفيات المدنية ليس بالعمل
البسيط الذى يمكن مداراته أو إخفاؤه ، فكل مريض يسعى
للعلاج سيشعر بالغضب والثورة ، وسيشكو لجيرانه وأقاربه
وأصدقائه وزملاء عمله ، وسيجد بينهم حتماً من ينقل
الخبر ، وبأقصى سرعة إلى تل أبيب .. »

بدا عليهم شيء من الضيق والإحباط ، ثم لم يلبث أحدهم
أن اعتدل بحركة حادة ، وقال فى حماسة :

- إلا لو تم هذا لسبب منطقي .

التفتت إليه العيون كلها فى تساؤل وجد طريقه إلى لسان
أحدهم ، وهو يقول :

- وما الذى يمكن أن يكون هذا السبب المنطقي ؟

أجابه الأول بنفس الحماسة :

- سبب طبي بحت .

ثم راح يشرح الخطة التى برزت فى ذهنه .. وبكل
التفاصيل ..

واستمع إليه الرجال بمنتهى الاهتمام ، حتى انتهى من
الشرح ، ودون أن يقاطعه أحدهم لحظة واحدة ، ثم بدعوا
مناقشاتهم ومحاوراتهم ، التى امتدت حتى الساعة صباحاً ، قبل
أن يربت رئيسهم على منضدة الاجتماعات براحتة قائلاً :

- على بركة الله .. فلنضع الخطة موضع التنفيذ .

وبعد سبع ساعات واثنى عشرة دقيقة بالتحديد ، وصل
إلى إحدى الوحدات العسكرية فى السويس قرار من إدارة
شئون الضباط للقوات المسلحة ، بتسريح ضابط طبيب من
الخدمة ، وعودته إلى الحياة المدنية ..

ولما كان ذلك الإجراء نادر الحدوث ، فى تلك الفترة ،
فقد أظهر الضابط الطبيب فرحته وسعادته ، وهمس للمقربين
إليه بأن جهود خاله الذى يحتل مكانة رفيعة فى القيادة ،
هى التى منحته هذا الامتياز ، وأعادته إلى الحياة المدنية ،

حتى يمكنه استكمال دراساته العليا ، التي توقفت مؤقتاً ، بسبب التحاقه بكلية ضباط الاحتياط منذ عدة سنوات ..

وكإجراء طبيعى ، لم يكد الطبيب (ع) يعود إلى حياته المدنية ، حتى تسلم وظيفته السابقة فى وزارة الصحة ، التى تركته على قوتها ليومين أو ثلاثة قبل أن تمنحه خطاب التعيين فى مستشفى (الدمرداش) الذى وقع عليه الاختيار ليكون على رأس قائمة المستشفيات المطلوب إخلاؤها ، قبل أن تنشب الحرب ..

والتحق (ع) بالمستشفى ، وأبدى نشاطاً ملحوظاً ومهارة وكفاءة فى عمله فى قسم الجراحة .

وقبل أن يمضى أسبوع واحد على تسلمه العمل ، حتى كان يتقدم بمذكرة إلى مدير المستشفى فى انفعال :

- خطأ .. استمرار العمل بهذا المستشفى خطأ .

تطلع إليه المدير فى دهشة ، وهو يسأله :

- لماذا ؟! كل شىء يدور على ما يرام .

لوح (ع) بسبابته فى حزم ، وهو يقول :

- هذا ما يبدو ظاهرياً ، ولكن هناك مشكلة بالغة الخطورة ، لست أدرى كيف لم ينتبه إليها أحد ..

ثم مال نحو المدير ، وأضاف فى لهجة تشف عن أهمية وخطورة الأمر :

- معظم عنابر المستشفى ملوثة بميكروب التيتانوس .

قفز المدير من مقعده كالمصعوق ، وهو يهتف :

- التيتانوس؟! هذا مستحيل !

احتدمت المناقشة بينهما لفترة طويلة ، وأصر الطبيب (ع) على رأيه ، وعلى أن مواصلة استقبال المرضى فى المستشفى لها عواقب وخيمة ، وحذر المدير من أنه سيحمله المسئولية الكاملة ، لو انتشرت الإصابة بالميكروب .

ولم يخضع المدير للأمر فى سهولة ، وإنما قرر القيام بفحص شامل ، وإجراء عدد من التحليلات ، قبل اتخاذ أى قرار فى هذا الشأن .. وتم جمع العينات المطلوبة ، وإجراء كل الفحوص الممكنة ..

ثم أنت النتائج ..

والمدعش أنه وعلى الرغم من خلو المستشفى فعلياً من الميكروب ، إلا أن كل النتائج إيجابية وكأتما تحول مستشفى (الدمرداش) إلى مزرعة نشطة لميكروب التيتانوس بالذات ..

وصدر قرار بإخلاء المستشفى تماماً من المرضى لتطهيره من الميكروب ، وتم اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لهذا ..

وفي نفس الليلة اجتمع الرجال مرة أخرى ..

كان من الواضح أن خطتهم تسير على خير ما يرام بالنسبة لمستشفى (الدمرداش) ولكن أحدهم طرح تساؤلاً غاية في الأهمية والخطورة :

- ماذا عن المستشفيات الأخرى؟! هل سنتبع معها الخطة ذاتها!؟

أجابه أحد زملائه في حسم :

- من المستحيل بالطبع أن نفعل ، فلو تكرر الأمر على النحو نفسه ، سينتبه العدو إلى أن الأمر ليس طبيعياً على الإطلاق ، مما سيثير شكوكه ، ويدفعه إلى دراسة الأمر وتحليله ، مما سيوصله حتماً إلى استنتاج الحقيقة .

قال آخر في انفعال :

- ينبغي ألا نسمح له بهذا قط .

عاد الأول يسأل :

- ماذا يمكننا أن نفعل إذن؟ ران عليهم صمت ثقيل ، وكل منهم يفكر في الأمر ، ثم لم يلبث أحدهم أن كسر ذلك الصمت ، وهو يقول في اهتمام :

- دعونا نطرح على أنفسنا سؤالاً مهماً .. ما الذي ينبغي فعله في الظروف العادية ، لو أن مستشفى (الدمرداش) تلوث بميكروب (التيتانوس) فعلياً؟

أجاب أحدهم بسرعة ، وبنفس الاهتمام : ستكون فضيحة وسيصبح الأمر حديث الصحف .

تراجع الرجل ، قائلاً بابتسامة كبيرة :

- عظيم .. هذا بالضبط ما نحتاج إليه .

تساءل آخر في دهشة :

- الفضيحة!؟

أجابه فى حماس :

- بل حديث الصحف .

قالها ومضى يشرح فكرته ، التى اعتمدت على تعاون الصحافة وتأثير الكلمة المطبوعة على مشاعر الجماهير ، وبخاصة لو كانت كلمة لكاتب يحترمه الجميع ، ويثقون بما يقول ويكتب تمام الثقة .. وكل من عمل أو يعمل فى مجال المخابرات ، يدرك جيدا أنه من أهم المصادر التى يستقى منها العدو معلوماته ، الصحف ، حتى إنه لكل جهاز مخابرات تقريبا قسم خاص ، مهمته الحصول على الصحف والمطبوعات بأسرع وسيلة ممكنة ، للاطلاع على ما بها ، ودراسته وتحليله واستقاء عشرات المعلومات منه ..

ومن هذا المنطلق ، وبعد مشاورات ومحاورات استغرقت أربع ساعات كاملة ، اتخذ الرجال قرارهم بالوسيلة التى ينبغى التعامل بها فى هذا الشأن مع رجال الصحافة والإعلام ..

وفى السادسة صباحا ، ارتفع رنين الهاتف فى منزل الكاتب الصحفى المعروف (م ص) الذى استيقظ على الفور ، والتقط سماعة الهاتف فى سرعة ، متصورا أنهم يستدعونه إلى الصحيفة التى يعمل بها ، لحدوث أمر طارئ

أو جلل ، يحتاج إلى تغطية صحفية عاجلة ، لذا فقد أدهشه ، عندما ألقى سؤاله لمعرفة محدثه ، أن يسمع على الطرف الآخر صوتا مهذبًا ، يقول :

- معذرة يا أستاذ (م ص) .. أنا (....) من المخابرات العامة المصرية .

انتفض جسد الرجل فى دهشة ، تمتزج بشيء من التوتر ، نظرا للفكرة الخاطئة ، المأخوذة عن المخابرات العامة فى ذلك الوقت ، وتساءل فى عصبية عن السبب الذى يطلبه من أجله رجل المخابرات ، فى السادسة صباحا ، فاعتذر له الرجل فى لهجة شديدة التهذيب ، وهو يقول :

- الواقع أن الأمر مهم وعاجل ، وسرى للغاية .. هل تمانع فى تناول قهوة الصباح معنا .

ردد الكاتب الصحفى فى قلق شديد :

- قهوة الصباح فقط !؟

أجابه رجل المخابرات فى اختصار حاسم واثق :

- بالتأكيد .

صمت الكاتب بضع لحظات ، وكأما يدير الأمر في رأسه ،
قبل أن يقول في حذر :

- فليكن .. سأرتدى ملابسى ، واتصل بالجراج لإحضار
السيارة ، و

قاطعته رجل المخابرات بلهجة مهذبة :

- لا داعى .. ستجد سيارتنا فى انتظارك أمام الباب .

ضاعف هذا الرد من توتر الكاتب الصحفى (م ص) وقلقه ،
إلا أنه ارتدى ثيابه بأقصى سرعة ، ثم هبط من منزله ، ليجد من
يستقبله أمام سيارة بتحية حارة ، وفتح له بابها الخلفى فى
احترام ، ثم انطلق يقطع شوارع (القاهرة) نحو أحد
المباني التابعة لجهاز المخابرات العامة ، حيث استقبل رجل
المخابرات الكاتب الصحفى بابتسامة ودود ، وهو يقول :

- تقبل اعتذارنا مرة أخرى يا أستاذ (م) ولكنك عندما
تعرف لماذا طلبنا مقابلتك ، ستقدر موقفنا جيداً .

لم تكن الكلمات كافية لإزالة توتر الكاتب الصحفى ، ولكن
أسلوب رجل المخابرات البسيط الودود ، وطريقته المباشرة فى
شرح الأمور ، وتوضيحه لأهمية تعاون الأستاذ (م) مع
الجهاز كلها أزلت حاجز التوتر والقلق ، وجعلت الكاتب يستمع
فى اهتمام وانتباه ، ويتفاعل مع الموقف بكيانه كله ..

والطريف أن رجل المخابرات لم يشرح له حقيقة المواقف
قط .. كل ما قاله هو أنهم يحاولون إجراء تجربة عملية ،
لما يمكن أن يحدث لو لجأ العدو إلى أسلوب الحرب
البكتروبيولوجية ، ونشر نوعاً من الميكروبات فى البلد ، وخاصة
فى المستشفيات ، وأن أفضل وسيلة إجراء مثل هذه التجربة ،
دون إثارة الذعر ، هى ادعاء وجود ميكروب معروف ، يلوث
عددًا من المستشفيات ، مما يحتم إخلاءها بأقصى سرعة ..

واقنع الأستاذ (م) تمامًا بحديث رجل المخابرات ..

بل وتحمس له بشدة ..

وفى الصباح التالى مباشرة ، نشرت جريدة الأهرام خبر
إخلاء مستشفى (الدمرداش) من المرضى ، بسبب تلوث
معظم عنابرهم بميكروب (التيتانوس) ..

ثم جاء دور الأستاذ (م) ..

وفى مقال ملتهب استنكر (م) ما حدث فى مستشفى
(الدمرداش) وعزاه إلى الإهمال والاستهتار ، ثم تساءل فى
النهاية عما إذا كان الأمر يقتصر على هذا المستشفى وحده ،
أم أن مسلسل الإهمال قد بلغ بعض المستشفيات الأخرى !؟

وفى اليوم التالى خرج بمقال آخر ، حول الموضوع نفسه ..

ثم مقال ثالث ..

ومع رد انفعال الجماهيرى ، وبناءً على هذه الحملة الصحفية الساخنة ، أصدرت وزارة الصحة قرارًا بإجراء تفتيش على باقى المستشفيات ..

والطريف أنها أسندت هذه المهمة للطبيب (ع) نفسه ، من قبيل المصادفة !!

وانطلق (ع) يواصل مهمته ، ويجرى التفتيش على عدد كبير من المستشفيات ، من ضمنها تلك التى تحتل القائمة ، التى وضعها رجال وزارة الدفاع والمخابرات العامة ..

ولم يكد أول أكتوبر يأتى حتى كان العدد المطلوب من المستشفيات قد تم إخلاؤه نهائيًا ، ونشرت جريدة الأهرام تحقيقًا علنيًا حول هذا الأمر ، مع صور الأسر الخالية ، وعمليات التطهير المستمرة ..

والتقط رجال المخابرات أنفاسهم فى ارتياح لنجاح الخطة ، ثم عادوا يكتمونها فى قلق شديد ، خشية أن يكشف العدو الأمر ، قبل اندلاع الحرب ..

ولكن هذا لم يحدث والحمد لله ..

فبعد ستة أيام بالتحديد ، نشبت حرب أكتوبر ، واندفعت موجة العبور الأولى تشق قناة السويس ، وتعبر حاجز الهزيمة ، وتحتل أقوى خط دفاعى فى التاريخ ، وتحطم أسطورة الجيش الإسرائيلى ، الذى أشاع أنه لا يقهر أبدًا ..

وخفقت قلوب الرجال فى حماس وزهو لا يخلوان من الدهشة والتقدير .. لقد تحقق عامل المفاجأة إلى أقصى حد ، وبوغت العدو تمامًا لعملية العبور ، حتى إن معدلات الخسائر ، التى قدرها الخبراء بخمسين فى المائة فى موجة العبور الأولى ، انخفضت حتى لم تتجاوز العشرة فى المائة ، وهو أقل معدل خسائر عرفته الحروب الحديثة ، فى عملية عبور مائى حصين كهذا ..

وعندما تحركت كتائب الإسعاف ؛ لنقل المصابين إلى الخطوط الخلفية ، وتوفير أفضل عناية ورعاية لهم ، كانت كل المستشفيات المطلوبة خالية ، ومعدة لاستقبالهم ، وتوفير كل الخدمات الطبية لكل واحد منهم ..

هذا لأن الخدعة قد نجحت نجاحًا منقطع النظير ..

الخدعة الطبية .

★ ★ ★

موسوعة الجاسوسية :

المخابرات التقنية

Technical Intelligence

هي استخبارات خاصة ، تستمد من المصادر الأجنبية المتعلقة بالكفاءات والمعدات التقنية .

ولقد ظهرت المخابرات التقنية لأول مرة ، فى خلال الحرب العالمية الثانية ، عندما أنشأ كل من الجيش الألماني والبريطاني وحدات متخصصة ، ترافق أو تتبع وحدات الهجوم ؛ لمصادرة المواد التقنية التي يمكن أن تخلفها الوحدات المهزومة أو المنسحبة خلفها ، كما نظم الجيش الأمريكي مهمة (إلسوس) ؛ لمصادرة معدات العدو المتعلقة بتطوير القنبلة الذرية ، من الجانب الألماني ، مما كان له أكبر الأثر ، فى تطوير صناعة القنبلة ، فى الولايات

المتحدة الأمريكية ، وسرعة استخدامها ، قبل أن يكمل الألمان أبحاثهم حولها .

وخلال الحرب الباردة توسعت الاستخبارات التقنية ، لتشمل جمع الاستخبارات ، من خلال أجهزة الكمبيوتر ، والمجسات الإلكترونية ، والأقمار الصناعية والتصوير الجوى ، بوساطة طائرات التجسس ، أو غيرها .

وتتميز الاستخبارات التقنية باعتمادها الكامل على التكنولوجيا ؛ فهي لا تحتاج إلى جواسيس أو عملاء من البشر ، إلا فى حالات نادرة للغاية ، أو للقيام بخطوات خاصة ، تقف أمامها التكنولوجيا عاجزة ، كسرقة مفتاح تشغيل ، أو الحصول على كود سرى ، أو معرفة مواضع أدوات تكنولوجية مخفأة بمهارة ، وفيما عدا هذا فهي لا تلجأ إلى العوامل البشرية إجمالاً ، أو بصورة ضئيلة إلى حد كبير ، ومن الطبيعى ، والحال هكذا ، أن تتباين نسبة

استخدامات أجهزة المخابرات المختلفة ، في كل بقاع
العالم ، لهذا النوع من الاستخبارات وفقاً لقدراتها ،
وطبيعتها ، ومدى حاجتها إليها .

★ ★ ★

الشائعة

(صفحات من تاريخ الجاسوسية)

الشائعة

(جاسوسية عالمية)

فجأة ، وبعد انتصارات ساحقة ، حققتها الجيوش النازية ، مع مطلع الحرب العالمية الثانية (٣٩ - ١٩٤٥ م) ، على نحو أثار انبهار العالم كله ، ودهشته ، وفزعه أيضا ، واجهت قوات الرايخ الثالث أول هزيمة عنيفة ، في مسارها الاستعماري الشرس ..

هزيمة وسط ثلوج الاتحاد السوفيتي ..

كانت قوات الجيش الألماني قد حققت انتصارات قوية ، في حملتها ضد السوفيت ، التي حملت اسم (بارباروسا) ، أو (ذو اللحية الحمراء) ، وراحت تتقدم بسرعة مذهشة ، وتكتسح أمامها القوات الروسية اكتساحا ، حتى أصبحت على مشارف (موسكو) ..

وعلى مشارف الشتاء الروسي أيضا ..

كيلومترات قليلة كانت تفصلها عن العاصمة السوفيتية (موسكو) ، والمقاومة أمامها تنهار ، وتراجع ، حتى إن الزعيم السوفيتي (جوزيف ستالين) ، ووزير داخلية

السفاح (بيريا) ، وباقي قيادات الحزب الشيوعي ، قرروا مغادرة العاصمة ، إلى منطقة آمنة ، لم يفصح عنها قط ، باعتبار أن سقوطها قد صار وشيكاً ، ومسألة أيام قليلة فحسب ..

قادة القوات النازية أنفسهم ، كانوا يعتبرون أنهم قد انتصروا بالفعل ، وحطموا إلى الأبد الخطر الشيوعي ، الذي بدا لهم أكبر خطر يواجه سيطرتهم المرتقبة على العالم كله ..

ثم فجأة وصلتهم الأوامر بإيقاف القتال ..

وكانت صدمة ما بعدها صدمة ..

فبكل القواعد المنطقية والعسكرية ، لم يكن من الممكن أبداً إيقاف المعركة ، في تلك المرحلة بالتحديد ..

فالسوفيت ينهزمون ويتراجعون ، على طول الخط والشتاء على الأبواب ، والقوات النازية وسط الجليد بالفعل ..

الجليد السوفيتي ، الذي طالما التهم الغزاة بلا رحمة أو شفقة ..

وبكل ما ملء قلوبهم ، من ذعر وذهول ، حاول قادة النازية إقناع الفوهرر (أدولف هتلر) بالتراجع عن قرار إيقاف القتال هذا ..

بل حاولا حتى أن يفهموه ..

ويستوعبوه ..

أو يهضموه ..

ولقد شرحوا للفوهرل كل العواقب المحتملة والمنتظرة ..

بمنتهى الدقة ، وبكل التفاصيل ..

فالتوقف لحظتها ، كان سيمنح السوفيت فرصة لالتقاط

أنفاسهم ، وإعادة تنظيم صفوفهم ، ودراسة خططهم ، بل

والسعى لشن هجوم مضاد عنيف أيضا ..

والأدهى أن هذا سيحدث ، والسوفيت محصنون في عاصمتهم ،

وسط الدفاء والأمان ، في حين تكون القوات النازية محاصرة

بالتلوج ، والجليد ، وعارية ، في درجات برودة قد تبلغ

العشرين تحت الصفر ..

وهذا يعنى موقفاً غاية في الغرابة ، لم تشهدده أية حروب

من قبل ..

فالمهزوم ينعم بكل المميزات ، في دفاء منزله ، والمنتصر

يرتجف عارياً تحت برد الشتاء القارص ..

وفي صمت صارم ، استمع (هتلر) لقادته ومعاونيه ..

وفي إصرار عنيد ، أكد قراره بوقف القتال على الجبهة

السوفيتية فوراً ، ونقل الحرب بأوجها ، إلى الجبهة البريطانية ..

ولأنهم لا يملكون سوى هذا ، أطاع جنرالات النازية أوامر

الفوهرل ، وأوقفوا القتال تماماً ، في الجبهة السوفيتية ..

وفي الوقت ذاته ، تعرّضت العاصمة البريطانية (لندن)

لأعنف موجات القصف ، منذ بداية الحرب ..

وفي الوقت الذي حار فيه الكل في تفسير القرار العجيب ،

كان (هتلر) يجتمع بالجنرال (هملر) ، قائد (الجستابو) ، ومدير

المخابرات الألمانية ، لمطالعة كل البيئات التي وردت عبر شبكة

من الجواسيس والعلاء ، انتشرت في كل أنحاء (أوروبا) ،

والتي اجتمعت كلها على أمر واحد ..

البريطانيون على وشك التوصل إلى سلاح رهيب ، قادر

على إقناء (ألمانيا) النازية كلها بضربة واحدة ، في

غضون أسابيع قليلة ..

كانت كل المصادر تنقل الخبر نفسه ، على نحو لا يمكن

تجاهله أو إنكاره أو بشكل جعله أقرب إلى الحقيقة المطلقة ،

على الرغم من أنه لا يوجد دليل واحد على صحته .. وبمنتهى الحزم ، قال (هتلر) :

- لا بد من حسم هذا الأمر بأقصى سرعة يا جنرال (هملر) .. فلو أن البريطانيين توصلوا إلى ذلك السلاح ، ستكون نهاية الرايخ الثالث .

أجابه (هملر) في حماس :

- اطمئن أيها الفوهرل العظيم .. لقد أطلقنا صفوة عملائنا ، في قلب المجتمع البريطاني ؛ لحسم هذا الأمر ، والتوصل إلى ذلك السلاح ، بل ولدينا فرقة من أفضل رجال (الكوماتدوز) عندنا ، متأهبة للانطلاق ، فور تحديد موقع إنتاج ذلك السلاح ؛ لتدميره بلا رجعة .

انعقد حاجبا الفوهرل ، وهو يقول في صرامة :

- لن تكون هذه بالمهمة السهلة .

شدَّ (هملر) قامته ، وهو يجيب ، في حماس أكثر :

- الرجال يفضلون الموت على فشلها أيها الفوهرل .

هزَّ (هتلر) رأسه في ارتياح واثق ، وهو يغمغم :

- عظيم .. عظيم ..

- ثم شدَّ قامته بدوره ، مضيقاً بكل الصرامة :

- أريد حسم هذا الأمر ، قبل نهاية الأسبوع يا (هملر) .. هل تفهم !؟ قبل نهاية الأسبوع .

وبكل الثقة ، أجابه (هملر) :

- اطمئن أيها الفوهرل .. اطمئن ..

وفور خروجه من مكتب الزعيم النازي ، بث (هملر) شخصياً ، رسالة لاسلكية عاجلة ، إلى واحد من أهم عملاء النازي ، في قلب العاصمة البريطانية ..

وما أن تلقى الرسالة ، حتى تحركَّ العميل ، الذي سنطلق عليه هنا اسم (جون) ؛ لجمع المعلومات المطلوبة ..

ولأنه يعمل في موقع شديد الحساسية ، في وزارة العدل البريطانية ، بدأ ذلك العميل (فوق المستوى) ، في جمع كل المعلومات الممكنة ، عن ذلك السلاح الرهيب ، الذي يوشك البريطانيون على ابتكاره ..

« لقد كشف نفسه » ..

نطقها رجل المخابرات البريطاني ، الذي أطلقت عليه الوثائق اسم (إدوارد) ، في ارتياح شديد ، وهو يراجع تقارير الفريق الخاص ، الذي اصطفاه للتعامل مع قضية (السلاح الخاص) ..

وعلى رأس مائدة الاجتماعات ، قال (إدوارد) متابعًا :

- اللعبة أثمرت ، على نحو يفوق كل توقعاتنا يا رجل ، فالشائعة التي أطلقناها ، بمنتهى العناية والصبر ، أنت ثمارها ، وحققت أكثر مما تمنيناها فلنتريون أوقفوا هجومهم على (موسكو) ، في مرحلة شديدة الحساسية والخطورة ، وجاسوسهم هنا كشف نفسه ، بسعيه خلف معلومات ، لا وجود لها في الواقع .

سأله أحد الرجال في اهتمام :

- هل نلقى القبض عليه مباشرة !؟

هزَّ (إدوارد) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- بل سنسعى للتعاون معه .

خيل للرجال أنهم لم يستوعبوا العبارة جيدًا ، فتسائل أحدهم في حذر :

- تعنى أننا سندفعه للتعاون معنا يا سيدي !؟

هزَّ (إدوارد) رأسه نفيًا بحزم أكبر ، وهو يقول :

- بل سنسعى نحن للتعاون معه ، فيما يجمعه من معلومات عن ذلك السلاح الوهمي ، وسنزوده بكل ما يؤيد الفكرة ، ويؤكددها في ذهن النازيين .

قال رجل آخر في اعتراض :

- ولكن هذا يدفعهم لمضاعفة شراسة قصفهم لنا .

ابتسم (إدوارد) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- مؤقتًا يا رجل .. مؤقتًا ..

ولم يستوعب الرجال تمامًا ما يعنيه (إدوارد) بقوله هذا ..

ولكنهم استمعوا إلى الخطة ..

ونفذوها بمنتهى الدقة ..

وعندما سعى للجاسوس (جون) لجمع المعلومات ، متصورًا أنه يعمل بمنتهى السرية والبراعة ، وضع البريطانيون أمامه كل ما يؤيد فكرة السلاح الوهمي ..

وأمر القيادة العسكرية بإجراء الأبحاث عليه ..

موعد بدء إنتاجه ..

وحتى الموقع السرى ، الذى يتم فيه تصنيعه ..

الشيء الوحيد ، الذى لم يستطع (جون) التوصل إليه
قط ، هو تصميمات ذلك السلاح الوهمى ، أو طبيعته ..

إلا أن ما أرسله إلى (برلين) كان كافيًا ، ليجتمع الفوهرلر
مرة أخرى بالجنرال (هملر) ، الذى هتف فى حماس :

- كنت على حق كالمعتاد أيها الفوهرلر العظيم .

هزّ (هتلر) رأسه ، قائلاً :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

ثم أصدر أوامره بالهجوم على موقع تصنيع السلاح السرى

البريطانى ..

الوهمى ..

وفى فجر اليوم التالى مباشرة ، حلقت طائرة ألمانية على
ارتفاع كبير ، فوق الريف البريطانى ، لتسقط فريقًا من

أقوى رجال (العاصمة) الألمان ، فوق ذلك الموقع ، الذى
حدده الجاسوس (جون) ..

كانوا ستة من أقوى مقاتلى الجيش النازى ، امتلنوا بالحماس
والقوة ، وهبطوا وسط الريف البريطانى ، و

وفجأة ، وجدوا أنفسهم وسط كمين عنيف ..

ومن كل مكان ، انهمرت عليهم رصاصات القوات البريطانية ،
بلا هوادة ..

وهنا ، تعترف الوثائق البريطانية ، التى تم نشرها بعد مرور
نصف القرن ، على نهاية الحرب العالمية الثانية ، بأن أولئك
المقاتلين النازيين قد قاتلوا ببسالة منقطعة النظير ، وحتى آخر
قطرة دم ..

فبعد ثلاث ساعات من القتال المتواصل ، تم أسر اثنين فقط
بقيا على قيد الحياة ، أحدهما مات متأثرًا بجراحه ، بعد ست
ساعات من الأسر ..

ولأن الأمر لا يمكن إخفاؤه ، قرّرت المخابرات البريطانية إنهاء
العملية الخاصة بالجاسوس (جون) ، الذى يعتبر الثغرة الوحيدة
فى العملية ، بعد أن انتهى دوره غير المباشر فيها ..

ولأن القبض عليه أيضاً لن يمكن إخفاؤه ، اتخذ البريطانيون
لشأنه قراراً بالغ الحساسية ..

وبالغ الخطورة أيضاً ..

ففي الثانية ظهراً ، وبعد ساعة واحدة تقريباً ، من تصفية
فرقة الكوماندوز البريطانية ، تعرّض (جون) لحادث سيارة
(متعمد) ، أودى بحياته ، قبل أن يبث أية رسالة لاسلكية
جديدة إلى (برلين) ..

أما (هتلر) وجنراله (هملر) ، فكل ما بلغهما هو أن عملية
تدمير السلاح البريطاني الرهيب قد فشلت ..

وانشغل كلاهما في وضع خطة حملة جديدة ، تمنع ذلك
السلاح الوهمي الرهيب ؛ من الخروج إلى النور ..

انشغلا حتى عما يحدث في الجبهة السوفيتية ..

فهناك ، تحققت كل مخاوف القادة الألمان ..

وإلى أقصى حد ..

فالسوفيت بالفعل التقطوا أنفاسهم ، بعد توقف الهجوم
الألماني ، حتى إن (ستالين) وقيادته ألقوا فكرة مغادرة

العاصمة ، وبقوا ؛ لإعادة تنظيم الصفوف ، وبث روح الحماسة
والبطولة في النفوس ..

أما شتاء (موسكو) ، فقد قام بدوره خير قيام ؛ إذ لم
تنخفض درجات البرودة إلى الثلاثين تحت الصفر ، كما تصوّر
النازيون ، وإنما بلغت أقصى درجات الانخفاض ، منذ نصف
قرن ، إذ انهارت حتى الخمسين تحت الصفر ..

ولم يكن جنود وضباط النازية مؤهلين لاحتمال هذه البرودة
الرهيبية ..

ولم تكن أزيائهم الأنيقة قادرة على هذا ..

لذا فقد تجمدت أطرافهم ، وتيبست أقدامهم في أحذيتهم ..

بل وتجمد بولهم ، فور خروجه من أجسادهم ..

وكانت صدمة للجنود النازيين ، وكارثة ما بعدها كارثة ،
أضيفت إليها تلك الهجمات العنيفة ، التي شنتها قوات الكوماندوز
السوفيتية البيضاء ، التي كانت تبرز فجأة من وسط الثلوج ،
لتكبد النازيين خسائر فادحة ..

وانهارت الروح المعنوية لجنود النازية ..

وانهارت معها قدراتهم القتالية ..

وهنا ، انقض الجيش السوفيتي ، بكل قوته ، وبثيابه المصنوعة من الفراء ، والتي تفتقر إلى أبسط درجات الأناقة ، ولكنها تمنح أصحابها الدفاء والأمان ؛ والقوة على مواجهة العدو ..

وانهزمت القوات النازية ..

واندحرت ..

ولأول مرة ، راحت تنسحب .. وتنسحب .. وتنسحب ..

ومع صدمة الهزيمة المريرة ، وصلت إلى (هتلر) معلومات جديدة مؤكدة ، من جاسوس آخر أرفع مستوى ، بأنه لا وجود إطلاقاً لذلك السلاح البريطاني ..

وأن كل ما غير مسار الحرب العالمية الثانية ، كان مجرد شائعة ..

ولأنهم لم يعتادوا الهزيمة قط ، تخبط جنرالات النازية ، وارتبكوا ، وتطلعوا إلى الفوهرلر ، في انتظار أوامره ، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

ولكن الفوهرلر كان أكثرهم اضطراباً ، وعدم تقبل للهزيمة ..

لذا ، فقد أصدر أوامره بالصمود ، وعدم الانسحاب ، مهما كانت الأسباب ، ومهما كان الثمن ..

وبناءً على أوامره ، على عكس كل ما تفرضه المعطيات ، وما يفرضه واقع ساحة القتال ، توقفت القوات النازية عن انسحابها ، لتقاوم ، وتقاتل ..

وتتحطم ..

نعم .. لقد تحطمت ، وبغنف ، أمام الجيش السوفيتي ، الذي استعاد قوته ، وحماسه ، وقدرته على الحصار ، والقتال ، والضرب بلا حدود ..

وفي قبضة السوفيت ، سقط عشرات الآلاف من الأسرى النازيين ، لتسقط معهم الروح المعنوية الألمانية أكثر ..

وأكثر .. وأكثر ..

وفي الوقت الذي تلقى فيه (إدوارد) تهنئة رؤسائه ، على خطته العبقريّة ، وشاعته المدهشة ، التي غيرت مسار الحرب كلها ، كانت قوات الحلفاء تهبط في (نورماندي) ، لتدق أكبر مسمار ، في نعش الرايخ الثالث كله ..

موسوعة الجاسوسية :

أمتورج

Amtorg

منظمة (تغطية) سوفيتية ، لعملية تجسس في (الولايات المتحدة) ، في خلال العشرينات والثلاثينات .

تعود بدايات (أمتورج) إلى العام ١٩٢١م ، عندما سافر د. «أرماتدهامر» ، المتخرج لتوه من كلية الأطباء والجراحين بجامعة (كولومبيا) ، إلى (موسكو) ، مع خطاب تقديم إلى (لينين) ، وكان (أرماتد) ابنا لـ د. (بوليوس هامر) ، اشتراكي روسي - أمريكي وصديق (لينين) ، امتلك أيضا شركة صيدلة ، وكان (أرماتد) يتمنى جنى دين بـ ١٥٠ ألف دولار ، كانت تدبى به الحكومة السوفيتية لوالده ؛ نظير الأدوية التي هربت داخل الدولة ، أثناء حصار الحلفاء لـ (روسيا) ..

سهل (لينين) لـ (أرماتد هامر) ترتيبات أعمال طويلة ومربحة ، مع (الاتحاد السوفيتي) ، في عام ١٩٢٤م ، وأدى

وبسرعة لم يتخيلها أحد ، راح الجيش النازي يتحطم وينهار ، وراحت القوات الأمريكية ، والبريطانية تقترب من غرب (برلين) ، في حين شق السوفيت طريقهم نحو شرقها ..

وسقطت (ألمانيا) بين المطرقة والسندان ..

وانهار الرايخ الثالث تماما ..

وفي ملاذه ووكره الأخير ، أطلق (هتلر) الرصاص على رأسه ، وانتحر مع كبار قادته وجنرالاته ، وعلى رأسهم (هملر) نفسه ، دون أن يدرك أحدهم ، حتى اللحظة الأخيرة ، إنه قد خسر حربا عالمية بسبب شائعة ..

شائعة بريطانية ..

مبتكرة .

★ ★ ★

هذا إلى المغامرة في مشروع بين السوفيت و (هامر) ، هو
(منظمة التجارة الأمريكية) ..

كان (فيليكس آدموندوفيتش دزيرسينسكى) - المدير
المؤسس لـ (تشيكا) - أحد المسئولين ، الذين ساعدوا (هامر) ،
وعمل كرئيس لمجلس لجنة الامتيازات ، التي ساعدت في
إنشاء هذا المشروع المشترك ..

بهذا ، كان جهاز المخابرات السوفيتي يُبنى في (أمـتـورج)
من البداية ، وبالنسبة لـ (هامر) كانت (أمـتـورج) صفقة عمل ،
أما بالنسبة للسوفيت ، فقد كانت سبيلاً للقيام بثلاثة مهمات :
حشد الاعتراف الدبلوماسي بالاتحاد السوفيتي ؛ وإدارة صفقات
وتجارة شرعية ؛ والتجسس ..

كثير من مسئولى (أمـتـورج) كانوا ضباط مخابرات سوفيت ؛
يسعون لسرقة أسرار صناعية وعسكرية ، وتجنيد أمريكيين ،
خاصة أعضاء الحزب الشيوعي في (الولايات المتحدة)
كعملاء ، وظلت (أمـتـورج) نشطة لعدة سنوات ، بعد اعتراف
(الولايات المتحدة) بالنظام السوفيتي في ١٩٣٣ م .

★ ★ ★

١١ مذكرات رجل مخابرات

أخطر مرحلة

١١ - أخطر مرحلة ..

طوال أكثر من سبع ساعات متصلة ، اجتمعت بفريق العمل ، وعدد من خبراء المخابرات ، في بعض المجالات ؛ لمناقشة كيفية السيطرة على الأمور ، عندما نسمح للجاسوس بالخروج ، ولقاء الطرف الآخر ، خارج الحدود ..

كان هناك احتمال أن ينكشف الرجل ، ويدرك الآخرون أنه قد تحول إلى عميل مزدوج ، يعمل لحسابنا ، واحتمال آخر أن ينقلب علينا ، عندما يجد نفسه خارج الحدود ..

ولما كان الاحتمال الأول أكثر خطورة ، فقد بدأنا به مناقشتنا ، ورحنا ندرسه من كل الوجوه ، وبكل الصور الممكنة ..

ولأن عريض المنكبين أكثرنا خبرة وحنكة ، فقد اقتنعنا جميعاً بوجهة نظره ، عندما أكد أنهم سيحاولون استجوابه بوساطة جهاز كشف الكذب حتماً ؛ لتأكيد استمرار ولانه ..

وفي حالات مماثلة ، نقوم عادة بتدريب العميل على التعامل مع جهاز كشف الكذب ، الذي لا يخرج عن كونه آلة قياس متعددة (Poly Gram) ، مهمتها قياس معدلات النبض والتنفس وإفراز العرق ؛ لتحديد ما إذا كان الشخص يكذب أم لا ..

مذكرات رجل مخابرات

أنا رجل مخابرات ..

واحد من آلاف ، في كل أنحاء الأرض ، ينتمون إلى عالم خاص ..

خاص جداً

عالم سرى ، غامض ، لا يمكنك أن تتجاوز الأسوار المحيطة به قط ..

لا يهم من أنا ..

ما جنسيتي ..

أو إلى أية دولة أنتمى ..

فالقواعد واحدة ، في كل الأحوال ..

القواعد اللازمة لتصنع رجل مخابرات ..

رجل يمكنه أن يصنع من نفسه درعاً ، لحماية دولة بأكملها ..

إذا ما استلزم الأمر ..

ولا تتصور حتى أن مذكراتي هذه قد تصنع منك ذلك الرجل ..

فهما حوت ، لن تتجاوز كونها مجرد كلمات ..

مجرد مذكرات رجل ..

رجل مخابرات .

وكل أجهزة المخابرات تدرب رجالها على التعامل مع تلك الأجهزة ، والسيطرة على أعصابهم لخداعها ، أو مراوغة الأسئلة ، بإجابات صحيحة ، ولكنها غير مباشرة ، ولكن في حالتنا هذه ، كان هذا مستحيلاً تماماً ..

فالاستدعاء جاء محدداً مهلة قصيرة جداً للقاء ، بالإضافة إلى أن طبيعة العمل نفسه كانت عصبية ، قابلة للإهيار ، مع الضغوط الشديدة ، التي سيمارسونها عليه حتماً ..

وكل هذا يعنى أنه سيسقط في قبضتهم ، دون أدنى شك ..

ولكن رفض ذهابه للقاتلهم كان يعنى تأكيد شكوكهم ، وحذفه تماماً من منطقة ثقتهم ، وانعدام فائدته مائة فى المائة ..

لذا كان الأمر معقداً ..

وكان الاجتماع طويلاً ..

للغاية ..

ولكن مع نسمات الفجر الأولى ، كنا قد وضعنا الخطوط العريضة ، لخطة ذات ثلاث خطوات ..

وبعد جلسة طويلة مع الجاسوس ، سمحنا له بالسفر ..

وفى تلك الدولة الأجنبية ، التقى به رجال مخابرات الخصم ، واستقبلوه بالتقدير والترحاب ، ثم اصطحبوه فوراً إلى طائرة أخرى ، حملتهم مباشرة إلى دولتهم الأم ..

وعندما استقبلوه فى مكاتبهم الرئيسية ، قام العميل نفسه بتنفيذ الخطوة الأولى من الخطة ، عندما فاجأهم بكم من المعلومات الحديثة ، التي بهرتهم ، وجعلتهم مثبتين على مقاعدهم لربع ساعة كاملة ، قبل أن يخبروه بحماس أنه ما زال بالفعل أفضل رجالهم فى المنطقة ..

ولكن هذا لم يمنعهم من تحديد موعد معه ، فى صباح اليوم التالى ، لاختبار كشف الكذب ، بعد أن أكدوا له أنه لا أحد يفلت منه أو ينجح فى خداعه أبداً ..

وفى المنزل الصغير ، الذى قضى فيه ليلة ، نفذ العميل الخطوة الثانية ، وفقاً لتوجيهات الخبراء الدقيقة ..

فوفقاً للمعلومات ، التي جمعناها من مصادر مختلفة ، كنا نعلم أنهم سيجرون الاختبار فى الساعة والنصف صباحاً ، فى مختبرهم الرئيسى ، أسفل مبنى مخابراتهم ، لذا ، ففى السادسة تقريباً ، أخرج هو من جيب خفى فى حزامه عقاراً

خاصًا ، تناوله مع قليل من الماء ؛ لتهدئة أعصابه ، وإزالة كل توتراته الداخلية ..

أما الخطوة الثالثة ، فكانت أعقدها ..

فعندما هبط العميل من ذلك المنزل الصغير ، ليستقل سيارة رجال مخابرات الخصم ، ظهر عند الناصية فجأة شاب نزق ، ينطلق بدراجته في تهور واضح ، ويتوقيت بقيق بارع ، تحرف الشاب فجأة ، ووثب بدراجته فوق الإفريز ، ثم ارتطم بالعميل ، وأوقعه أرضًا في عنف ، قبل أن يرتبك ، ويعتذر له وللجميع في خفوت وذعر ..

ولأن الوقت لا يكفي للدخول في شجار جانبي ، فقد اكتفى الرجال بتعنيفه وزجره ، ثم اصطحبوا العميل معهم ، وتركوا الشاب خلفهم ، يتسم ابتسامة خبيثة ظافرة ، وهو ينطلق بدراجته مبتعدًا ..

أما العميل نفسه ، فقد أبدى تألمه من عنف سقوطه ، وأبدى الكثير من التوتر لما حدث ، حتى بلغ المختبر ، وجلس إلى جهاز كشف الكذب ، والكل يدرك ما أصابه في الصباح ..

وبدأ الاختبار ..

ومع العقار المهدئ ، وتظاهره بالتوتر والألم ، من جراء إصابته ، جاءت النتائج كلها مرتبكة نوعًا ما ، ولا يمكن تحديد موقفها بدقة ، لذا فقد بدأ الرجال في تفسيرها ، وفقًا لمعطيات الموقف ..

ومع المعلومات الثمينة التي أحضرها ، والإصابة التي أصابته أمام عيونهم ، على نحو بدا عشوائيًا تمامًا ، كانوا أكثر ميلًا إلى النظرة التفاؤلية في تفسير الأمور ، مما أقنعهم بولائه ..

وعبر مصادرنا الأخرى ، علمنا أن الرجل قد اجتاز اختبار كشف الكذب بنجاح ، وأن خطتنا الثلاثية قد أفلحت تمامًا ، وبمنتهى الدقة ..

ولا أحد في الدنيا كلها يمكنه أن يتصور مدى سعادتي وارتياحي ، بنجاح لعبتي الكبرى الأولى في هذا العالم ..

وربما كان أكثر ما أسعدني هو تلك الابتسامة ، التي ملأت وجه عريض المنكبين ، وهو يصفحني ، قائلًا :

- مبروك .

لحظتها رقص قلبي فرحاً ، وحملت ملامحي كل ما يعتمل
في نفسي ، وأنا أدخل مكتبي مع وجه القنفذ ، الذي بدا هائناً
رصيناً كعادته ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، فهتفت به في
حماس :

- نجحنا .. انتصرنا في أول مواجهة كبرى .

كنت أعلم أنه رجل عسير الانفعال ، إلا أنني ، وعلى الرغم
من هذا ، كنت أتمنى أن يمنحني ولو لمحة من الارتياح ، تعبيراً
عن النجاح ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، التفت إلي بكل
رصانته ، التي تستفز مشاعري دوماً ، وقال :

- ولكن العملية لم تنته بعد .

انعقد حاجبائي ، وأنا أقول ، في شيء من العصبية :

- الرجل تجاوز اختبار كشف الكذب .

هزّ كتفيه في هدوء ، قائلاً :

- ولكنه ما زال في أرضهم ..

تفجرت عبارته في تلافيف مخي كالقنبلة ، ونسفت كل
شعور بالنصر دفعة واحدة ، لتضع بدلاً منه إحساساً رهيباً
بالقلق ، جعلني أغمغم :

- أنت على حق ..

ومع تبخر سعادتني ، عدت أجلس خلف مكتبي وأعيد
دراساتي وحساباتي مرة أخرى ، قبل أن أهب هاتفياً :

- اجتماع .

لم يكن أفراد مجموعة العمل قد استقروا خلف مكاتبهم
بالفعل ، عندما وصلهم الاستدعاء ، فعدوا إلى حجرة الاجتماعات
في قلق متسائل ، والتفوا حول المائدة ، لأحتل أنا قمتها ، قائلاً :

- رجلنا ما زال في أرض العدو .

كنت أتوقع أن تبدأ عبارتي هذه دورة جديدة ، من
المناقشات ، والحوارات ، والدراسات ، إلا أنني فوجئت
بعريض المنكبين بيتسم ، قائلاً في هدوء :

- الرجل سيعود إلى القاهرة ، في طائرة التاسعة مساءً .
 حدقت في وجهه مندهشًا ومتوترًا ، فخفض عينيه ،
 متممًا :

- أنت لم تسأل .

وكان درسًا قاسيًا ..

ولكنني استوعبته جيدًا ..

بل الواقع أننى وجدت فيما حدث عدة دروس ..

فلا ينبغي أبدًا أن أحصد النجاح ، قبل أن تصبح نتائجه
 فى قبضتى بالفعل .

ومن الضروري أيضًا ألا أتوقف عند جولة ناجحة ، قبل
 أن تنتهى المباراة كلها ..

ولا تجاهل حتى لأدق أدق التفاصيل ..

أو أتوقف عن متابعة المهمة لحظة واحدة ، مهما بدت
 ناجحة أو مطمئنة ..

والأهم من كل هذا أن أسيطر على مشاعري وانفعالاتي ،
 حتى آخر لحظة ، وحتى لآخر العمر أيضًا ..

وأمام مجموعة العمل ، اعترفت بكل الأخطاء التى
 ارتكبتها ، وطلبت من الجميع تسجيلها ومناقشتها ، حتى
 لا تتكرر أبدًا ، منى أو من أى زميل آخر ..

ثم غادرت عائدًا إلى مكتبى ..

وهناك ، جلست صامتًا ، أسترجع كل ما حدث ، بكافة
 التفاصيل ..

أسترجع بداياتى ..

وخطواتى ..

وتطوراتى ..

ونجاحاتى ..

وأخطائى أيضًا ..

ووسط كل هذا ، واصلت متابعة رحلة العميل ، حتى عاد إلى أرض الوطن ، حيث استقبلته أسرته ، واصطحبته فوراً إلى منزله ..

وحفاظاً على السرية ، ظللت وفريقي صامتين صابرين ، حتى صباح اليوم التالي ، عندما التقينا به في مكان آمن ، وراح يروي لنا كل ما حدث له هناك ..

واستمعنا إليه نحن في صمت ، ودون أن نقاطعه بحرف واحد ، حتى انتهى من روايته ، التي تطابقت تماماً مع ما لدينا من معلومات ..

وكان هذا دليلاً على أن الرجل قد عاد إلى رشده ، وأنه قد استعاد ولاءه الأصلي لنا ، مع ثقة الطرف الآخر التامة ..

وفي عالمنا ، يعتبر هذا نجاحاً كاملاً ..

لذا ، فقد عدت إلى مكتبي ؛ لأكتب تقريرى ، وأقدمه إلى رؤسائى ..

ولست أدري كم استغرق هذا من وقت ، فقد انهمكت فى الأمر تماماً ، حتى فوجئت بعريض المنكبين أمامى ، يبتسم ابتساماً واضحة ..

وما أن أطل التساؤل من عيني ، حتى مال عريض المنكبين نحوى ، ومد يده إلى ، قائلاً :

- دعنى أهنئك .

صافحته متسائلاً :

- على نجاح العملية !؟

هز رأسه نفيًا فى صمت ، فى حين أجاب وجهه القنفذ ، وهو يمد يده إلى بدوره ، وابتسامته (النادرة) لم تفارق شفثيه بعد :

- بل على اجتيازك أخطر مرحلة ..

تضاعف التساؤل فى عيني ، فتابع عريض المنكبين :

- أهلاً بك ، فى عالم المخابرات .

وهنا تحولّ التساؤل إلى بريق ..

وإلى فرحة عارمة ..

لقد فهمت ما يعنيه ..

فاليوم فقط ، أصبحت أستحق ذلك اللقب ، الذي سعيت

لحمله يوماً ..

والذي أحمله الآن عن جدارة ..

لقب : رجل المخابرات ..

[تمت]

جاسوس للبيع

صفحات من تاريخ الجاسوسية

جاسوس للبيع ..

فجأة! ودون مقدمات ، انهار الاتحاد السوفيتي .. سقطت إحدى القوتين العظميين سقوطاً مدوياً ، صك أذان العالم كله ، وأسقط قلبه بين أقدامه ، بعدما اختل ميزان القوى ، وأفسحت الساحة أمام الغول الأمريكي ، ليرتع فيها كيفما يحلو له ..

ومع انهيار الكيان الضخم ، وذوبته في سياستي الإصلاح والمصارحة ، وتفككه إلى دويلات صغيرة ، تغيرت داخله أمور كثيرة عديدة ، لم يتصور أحدًا قديمًا إمكانية تغيرها أو سقوطها .. ومن أشهر الأنظمة ، التي تهاوت مع سقوط إمبراطورية الشيوعية الأولى في العالم ، نظامها الأمني القمعي ، صاحب الاسم المخيف في عالم المخابرات .. الـ (كى . جى . بى) (K . G . B) ..

وعلى نحو درامى مثير ، انقسم جهاز المخابرات السوفيتي الرهيب إلى ثلاثة أجهزة منفصلة ، وهي جهاز الأمن الرسمي ، وسلاح الحدود ، وإدارة المخابرات العامة (إف . إس . كى) (FSK) . وكإجراء طبيعي للانقسام ، تم فرز كل العملاء والعاملين بالمخابرات السوفيتية القديمة ، وإعادة تقييمهم ، لتوزيعهم على الإدارات الجديدة ..

هذا ما تم إعلانه رسمياً ، وما بدا ظاهرياً ، للعاملين في هذا العالم السرى الغامض .. ولكن الهدف الحقيقي كان يختلف .. يختلف تماماً .. فالواقع أن الهدف الحقيقي ، غير المعلن ، لعملية إعادة الفرز والتقييم ، كانت استبعاد العناصر الغارقة حتى أذنيها في النظام الشيوعي القديم ، كوسيلة لتنقية الفكر ، وتطهير جهاز المخابرات ، وبدء عهد جديد ، بقواعد جديدة ، لا تتدرج تحت قائمتها عملية الحرب الباردة ، أو الصراع المستمر مع القطب الغربي للصراع ..

وفي ظل هذا ، تساقط عشرات وعشرات العملاء ، ورجال المخابرات السوفيتية القدامى ، الذين تم إقصاؤهم عن الخدمة في كل يوم بحجة أو بأخرى ، بغض النظر عن الكفاءة ، أو التاريخ القديم ، أو حتى العمليات القوية الناجحة في السجلات السرية .. وبدا من الواضح أنها مذبحة .. مذبحة لا تبقى ولا تذر ، ولا ترحم أو تتهاون .. وهذا ما أدركه (يورى إيفان بروكوفيتش) ..

و(يورى) هذا ضابط مخابرات قديم ، يحمل رتبة كولونيل ، ويعتق الفكر الشيوعي حتى النخاع ، وهذا ما أهله قديماً لرياسة قسم العمليات الخارجية ، التي تولى بنفسه معظم عملياتها ، في (أوروبا) و(أمريكا) ، بعد تاريخ حافل بعمليات اتحارية قوية ، جعلته أشبه بالأسطورة ، في عالم المخابرات السوفيتي السابق ..

ولأنه رجل مخابرات مُحَنِّك ، يمتلك عقلية تحليلية نادرة ، صقلتها التدريبات والخبرة ، حتى صارت قادرة على منافسة العباقرة ، فقد أدرك اللعبة كلها منذ اللحظة الأولى ، وأدرك معها أن دوره آت لا ريب ، وأن الركلة ستكون قوية إلى أقصى حد ، ولو أنه محظوظ ، فأفضل ما يمكن أن يحصل عليه هو وظيفة سخيفة ، في مبنى حكومي إداري عتيق .. ورجل مثله ، لم يكن ليرضى بتغيير كهذا قط .. مهما كان الثمن ..

لذا ، فقد قضى (يورى بروكوفيتش) يوماً كاملاً في مكتبه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وعيناه تتطلعان في شرود إلى نافذة زجاجية كبيرة ، تطلّ من زاوية عسيرة ، على ساحة المبنى الرئيسي للمخابرات السوفيتية ، وعقله يراجع كل المعلومات ، وأدق التفاصيل ، وكأنه يواجه عملية ، من العمليات التي قادها بنفسه من قبل ..

ولساعة ونصف الساعة بعدها ، جلس (يورى) أمام جهاز كمبيوتر حديث في مكتبه ، تنتجه شركة أمريكية ذائعة الصيت ، وراحت أصابعه تعمل على لوحة الأزرار ، في همة ونشاط ، دون أن تسجل أجهزة التنصت سوى تلك الدقات الخافتة المتتابعة .. وفي الساعة صباحاً بالضبط ، وقّع الكولونيل (يورى بروكوفيتش)

في دفتر الانصراف ، عند البوابة الرئيسية ، واستقل سيارته الروسية الصنع ، وانطلق بها منصرفاً .. ولكنه لم يعد إلى منزله أبداً ..

والعجيب أن أحداً لم ينتبه إلى هذا ، إلا في مساء اليوم التالي ، عندما راحت زوجته تتصل بالجهاز في قلق ، للسؤال عن زوجها ، الذي لم يعتد الاختفاء طويلاً ، دون إشعار مسبق ، أو اتصال هاتفى سريع ..

عندئذ فقط ، تردّد السؤال ، داخل أروقة جهاز المخابرات السوفيتي ، الذي بدأ بالفعل عملية الجرد المنظم ، استعداداً للانتقال التام .. أين اختفى (يورى بروكوفيتش) !؟

في البداية ، وكرد فعل تلقائي مباشر ، تصوّر الكبار أن (يورى) قد تعرّض لمحاولة اختطاف أو اغتيال ، على يد مجموعة من المعارضين ، أو المناهضين للشيوعية ، والذين برزوا في الآونة الأخيرة ، مع سقوط النظام القديم .. ولكن ، ومع البحث ، راحت تتكشف حقائق عديدة .. ومخيفة ، فرجل المخابرات القديم قاد سيارته الخاصة بنفسه ، حتى أطراف (موسكو) ، وتركها على مسافة كيلومترين من أحد المطارات الصغيرة ، الخاصة بجهاز المخابرات السوفيتي ..

وفى سجلات المطار ، وجد الباحثون توقيع (يورى بروكوفيتش) ، على تصريح بتسليم طائرة محدودة المدى ، لرجل مخابرات يدعى (أليكس بودوالين) ، استقل الطائرة بالفعل ، وانطلق بها دون تحديد وجهة مسبقة ، ثم لم يعد بها إلى المطار أبداً .. ومع البحث والتدقيق فى السجلات الرسمية والسرية ، لم يجد الرجال اسم (أليكس بودوالين) هذا قط ، لابين العاملين الحاليين ، أو السابقين ، أو الذين عملوا فى أية حقبة ، من تاريخ المخابرات السوفيتية كلها ..

وهنا ، لا بد من عمل تحقيقات موسّعة ، حول الاختفاء الغامض لرجل المخابرات السوفيتي الفذ ، والانتحاري السابق (يورى بروكوفيتش) .. ونظراً للنظم الأمنية المعقدة والصارمة ، فى كيان مثل الاتحاد السوفيتي ، استغرق التحقيق الأوّل يومين كاملين ، قبل أن يهرع نائب رئيس الجهاز الخطير إلى حجرة مديره (يوجين بريماكوف) ، آخر رئيس لجهاز (كى . جى . بى) ، ليعلنه والرعب يملأ كيانه ، ويتقاطر فى وضوح من كلماته ، أن (يورى بروكوفيتش) قد هرب ، ثم راح يروى ما توصل إليه المحققون من حقائق مفزعة .. فالعاملون فى ذلك المطار السرى الصغير ، التابع لجهاز

المخابرات السوفيتي ، تعرّفوا صورة (يورى بروكوفيتش) ، باعتباره (أليكس بودوالين) ، رجل المخابرات المزعوم ، الذى سرق الطائرة ، كما أن بعض محطات الرادار الأرضية أرسلت تقاريرها إلى جهاز المخابرات ، تشير إلى رصدها لطائرة صغيرة ، تابعة للجهاز ، تنطلق فى اتجاه الشمال الغربى ، وعند اعتراضها لاسلكياً ، أرسل قائدها الشفرة السرية الخاصة ، التى توحى بأنه رجل مخابرات ، فى مهمة خاصة ؛ لذا فلم يتم التعامل معها ، من قبل وحدات الدفاع الجوى ، أو تخرج طائرة مقاتلة لاعتراضها ، حتى عبرت الحدود الفنلندية السوفيتية ، مع غروب الشمس .. وعبر العملاء السوفيت فى (هلسنكى) ، وردت معلومة تشير إلى مشاهدة (يورى بروكوفيتش) فى العاصمة الفنلندية لساعة أو يزيد ، قبل أن يستأجر سيارة رياضية صغيرة ، ويختفى بعدها تماماً .. وفى منطقة شبه مهجورة ، تم العثور على الطائرة الصغيرة ، وخزاتها فارغ تماماً من الوقود ، على نحو يوحي بصعوبة الرحلة ، وبمهارة القائد ، الذى هبط بها على أرض نصف ممهّدة ، كما لو كانت طائرة شراعية .. أما (يورى) ، فقد ضاع أثره عند هذه النقطة ، وكأما اختفى ، أو ابتلعه الأرض ..

المشكلة أنه لم يكتف بالهروب ، لقد أقدم على عمل رهيب للغاية .. واستغل براعته ، ومهارته ، وحساسية منصبه الخطير ، ليحمل معه أسطوانة كمبيوتر مدمجة ، تحوى أخطر أسرار الجاسوسية السوفيتية ، فى (أوروبا) والأمريكيتين على الإطلاق .. والأكثر خطورة أنه قد فعل هذا على نحو سافر ، متعمداً ترك أثره خلفه ، ليُدرك الكل خطورة ما يحمله ، فى هروبه هذا باختصار ، كان رجل المخابرات السوفيتى يترك رسالة لرؤسائه ، يُعلمهم بوساطتها أنه قد انشق عنهم ، ومن الخطر تعقبه ، أو محاولة استرجاعه ، أو حتى الانتقام منه .. ولكن الشيء الوحيد ، الذى فات على اللاعب المخضرم أن يُدركه ، هو أنه فى عالم المخابرات ، لا وجود لكلمة مستحيل .. ولا مجال للتراجع أو الاستسلام .. أبداً ..

لذا ، فقد أصدر مدير المخابرات السوفيتية قراراً بعقد اجتماع عاجل وسرى للغاية ، مع نوابه ومساعديه ، لبحث الموقف ، الذى اندرج فوراً تحت بند (سرى وعاجل للغاية) .. وفى بداية الاجتماع ، وبكلمات موجزة ، تحوى كل التفاصيل الضرورية ، شرح المدير الأمر كله ، قبل أن يؤكد حتمية العثور على (بروكوفيتش) ، واستعادة الأسرار منه ، قبل أن يظفر بها آخرون .. ولأن القاعدة تقول : إنه لا يفل الحديد إلا الحديد ، فقد تم إسناد مهمة البحث عن الذئب الهارب إلى ذئب آخر .. (فلاديمير كلاشينكوف) ..

فبين كل رجال المخابرات السوفيتية ، كان (فلاديمير كلاشينكوف) هذا يحتل مكانة خاصة إلى حد كبير ، إذ أنه شاب ، فى السابعة والثلاثين من عمره ، ينتمى إلى عائلة ذات أصول عسكرية عريقة ، وكل من يعرفه يُدرك إنه حاد الذكاء ، متقد الذهن ، صموت ، بارع إلى حد مدهش ، فى كل ما يتعلق بأسرار وأعمال المخابرات .. ثم أنه كان تلميذاً نجيباً طوال عمره ، للهارب (بروكوفيتش) ، ويُدرك جيداً أسلوب تفكيره وتخطيطه ، ووسائله فى التعامل مع الأمور ..

ولم يكن الأمر إذن بحاجة إلى الكثير من التفاصيل أو المناقشات ، لذا فقد صدرت الأوامر الرسمية ، بعد نصف الساعة فقط ، بأن يتولى (كلاشينكوف) عملية الجاسوس الهارب شخصياً ، مع منحه كل الصلاحيات والسلطات ، للتحرك فى أى مكان فى العالم ، والاستعانة بأى عميل سوفيتى ، أو حتى بمسئولى السفارات السوفيتية ، الذين أرسلت إليهم أوامر مشددة ، خالية من التفاصيل ، لتقديم كافة خدماتهم ، دون أدنى مناقشة إلى (أيجور) ، وهو الاسم الكودى السرى ، الذى سيتحرك به (كلاشينكوف) طوال الوقت ..

وكان هذا إيذاناً ببداية واحدة من أخطر العمليات ، فى الأيام الأخيرة لجهاز المخابرات السوفيتى الرهيب ..

ولقد تلقى (فلاديمير كلاشينكوف) الأمر فى ثقة وهدوء ، وراجع التفاصيل كلها مع رؤسائه مرتين ، قبل أن يُغلق على نفسه باب مكتبه ، ويجلس وحيداً ، ليدرس الأمر كله مع الشخص الوحيد ، الذى يوليه ثقته ، فى الكون كله .. مع نفسه ..

ولقد كانت له عاداته الخاصة ، عندما يدرس قضية ما ، فهو يجلس وحيداً فى حجرة مكتبه ، ويُطفى كل الأنوار ، ويُغلق كل النوافذ ، ويُغمض عينيه ، ويُفكر بعمق وتركيز شديدين ..

وفى هذه العملية ، استغرقت عزلته هذه ساعتين كاملتين ، وبضع دقائق إضافية ، قبل أن يُغادر حجرة مكتبه فى نشاط عجيب ، ويطلب من مساعده فى حزم صارم ، ونبرات قاسية اشتهر بها تذكرة بالدرجة الأولى إلى (لندن) ، وأخرى من (لندن) إلى (نيويورك) ، بعد يوم واحد فقط .

وقبل أن ينتصف النهار ، كان داخل طائرة الخطوط البريطانية ، التى تتجه إلى (لندن) ..

وفى نفس اللحظة ، التى حُلقت فيها الطائرة من مطار (موسكو) ، كان رجل المخابرات الأمريكى (جورج توماس) يوقف سيارته ، أمام منزله الصغير فى أطراف (واشنطن) ، ويتأهب فى إرهاق وتهالك ، وهو يُغادرها ، ويدس مفتاح منزله فى ثقب الباب ، ثم يدخل المنزل ، وهو يُطلق من أعماق صدره زفرة مرهقة ، و...

وفجأة ، توترت كل خلية فى جسده ، ووثبت يده بحركة حادة نحو مسدسه ، المعلق تحت إبطه ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وجسده كله ينتفض فى عنف ، ويرتد إلى الخلف ، كمن أصابته لكمة عنيفة .. فهناك ، فى ركن المنزل ، وعلى الضوء الخافت ، المتسلل من النافذة ، كان يجلس شخص ما ، يُصوب إليه فوهة مسدس كبير .. ويا لها من مفاجأة ..

لقد انتفض جسده فى عنف ، وحاول أن يلتقط مسدسه فى سرعة ، لولا أن ارتفع صوت صارم قاس ، من وسط الظلام ، يقول بالأمريكية ، وبلكنة شرقية واضحة :

- حذار أن تفعلها يارجل ، فرصاى ستسبق يدك حتماً .

حلق (جورج) لحظة فى وجه (بروكوفيتش) ، قبل أن يهتف :

- رباه ! إننى أعرفك .. (بروكوفيتش) .. (يورى إيفان

بروكوفيتش) .. نائب مدير المخابرات السوفيتية ، ورئيس وحدة العمليات الانتحارية .

غمغم (بروكوفيتش) :

- بالضبط .. وأنت (جورج بى توماس) .. نائب رئيس وحدة

الجاسوسية المضادة ، فى المخابرات المركزية الأمريكية ..

شدّ (جورج) قامته ، واستعاد ثقته وتماسكه ، وهو يقول :
 - عظيم .. هذا يكفي لتعارفنا .. والآن اعتقد أنه من المناسب
 أن تجيب ذلك السؤال ، الذي يلتهب به ذهني ، منذ وقع
 بصري عليك .. ما الذي تفعله هنا بالضبط ؟!
 مطّ (بروكوفيتش) شفتيه ، وهو يقول في صرامة :
 - أنا هنا كصديق .

قال (جورج) في عصبية :

- صديق ؟! وهل يتسلّل الصديق تحت جناح الظلام هكذا ،
 إلى منزل صديقه ، وبمسدس ضخم ؟!

خفض (بروكوفيتش) فوهة مسدسه ، مجيباً :

- أنت تعلم أن عالمنا مُعَدّ متشابك ، والقواعد فيه تختلف
 تماماً عن قواعد العالم الخارجي .

مطّ (جورج) شفتيه بدوره ، وجلس على أقرب مقعد
 إليه ، وهو يسأله مكرراً ، في صرامة شديدة :

- لماذا أتيت إلى هنا يا (بروكوفيتش) ؟!

جذب (يورى) مقعداً ، وجلس أمامه ، مجيباً :

- جئت أعرض عليكم صفقة مباشرة .

ردّد (جورج) في حذر :

- صفقة ؟! أى نوع من الصفقات ؟! ما الذى تعرض بيعه
 لنا بالضبط ؟!

صمت (يورى) طويلاً ، وهو يتطلّع إليه مباشرة ، بعينين
 تكتمان انفعالاً جارفاً ، قبل أن يجيب في ببطء وعمق شديدين :
 - أنا .

وكانت مفاجأة .. مذهلة ..

لم يكد (فلاديمير كلاشينكوف) يُغادر مطار (هيثرو) ،
 حتى وجد فى انتظاره سيارة السفارة السوفيتية ، وبداخلها
 الملحق العسكرى ، الذى تقدّم نحوه مباشرة ، على نحو
 يؤكد معرفته السابقة به ، وصافحه فى حرارة ، ثم يقوده
 إلى سيارة السفارة ويجلس إلى جواره ، ويشير إلى السائق
 بالانطلاق ، وهو يقول :

- رجالنا انتشروا فى كل مكان فى (انجلترا) كلها ، ومعهم
 صورة الر .. أعنى الهارب (بروكوفيتش) ، ولكن أحداً لم يتعرفه
 قط ، وهذا يؤكد أنه لم يصل إلى هنا أبداً ، ولقد تأكدنا
 تماماً ، على نحو لا يتطرق إليه الشك .

قال (كلاشينكوف) في صرامة شديدة ، على نحو يوحى بعدم رغبته في مناقشة الأمر :

- لى أساليبي الخاصة .

وكان هذا آخر ما تبادلته من حديث ، مع الملحق العسكري السوفيتي ، حتى بلغا السفارة ، واعتزل كعادته في حجرة مكتب خاصة ، أغلقها على نفسه في إحكام ، مع كل تقارير البحث والمراقبة ، وراح يراجع كل سطر بنفسه ، في صمت تام .. بل كل جملة ، وكلمة .. وحرف .. راجع كل شيء ثلاث مرات ، بمنتهى الدقة ، قبل أن ينهض ليطفى الأنوار ، ثم يجلس وسط الظلام مغلقاً عينيه ؛ ليعتصر خلايا مخه حتى أقصى درجة ، في محاولة لبحث الأمر بأسلوبه الخاص ..

كانت لديه قدرة مذهشة على أن يخرج من كيانه ، ويتقمص شخصية خصمه ، بعد أن يدرس أسلوبه وعملياته السابقة .. وفي هذه المرة كان الخصم أستاذه ، الذي علمه ودرّبه ، ومنحه خلاصة عمره ، وخبرته ، وتجاربه ، على نحو أصبح عقله معه مفتوحاً ، بحيث يمكنه فهم أساليبه وخطواته ، كما لم يفهم مخلوقاً آخر من قبل .. ومن المؤسف أن تكون أول مرة يستغل فيها كل هذا ، هي مطاردته لأستاذه ، وسعيه خلفه ..

ولكن (كلاشينكوف) كان يتميز بأمر آخر ، يختلف فيه عن سائر البشر .. كان رجلاً بلا قلب .. على الإطلاق .. لذا فقد أسقط تماماً علاقته بأستاذه ، ومحامها من ذاكرته ، باستثناء كل ما يمكن أن يفيد في الإيقاع به ..

وفي جلسته وسط الظلام ، راح يراجع موقفه كله ، ويفكر بعقل أستاذه الهارب .. ماذا سيفعل ، لو أنه في موضعه؟!!

هارب من الكيان السوفيتي ، الذي يوشك على انهيار تام ، ويحمل مجموعة من أخطر الوثائق والأسرار ، التي تهدد أمن الآلاف ، في شتى أنحاء العالم .. من الطبيعي ، والحال هكذا ، أن يسعى إلى أحد أهم عدوين للنظام الشيوعي ، في العالم كله .. (بريطانيا) أو (أمريكا) .. وفي تقديره هو ، كانت (أمريكا) هي الخيار الأمثل ، لاتساع رقعتها ، وكثرة المهاجرين السوفيت فيها ، على نحو يتيح للهارب الذوبان وسطها ، والضياع في زحامها ، واتساعها ، مع تضاؤل فرص العثور عليه إلى الحد الأدنى .. وعلى الرغم من هذا ، كان على (كلاشينكوف) أن يدرس الاحتمال الأول أيضاً ، قبل أن تقفز إلى الاحتمال الثاني .. ولكن كل التقارير تؤكد أن (يوري) لم يصل إلى (إتجلترا) قط ، بعد اختفائه في (هلنسكي) ،

وهذا يُحدّد ساحة واحدة للمعركة .. (أمريكا) .. وبعد حسم هذه النقطة ، لم يضع (كلاشينكوف) لحظة واحدة ، وإنما طلب إلغاء تذكرة سفره إلى (نيويورك) ، وحجز تذكرة أخرى ، فى أوّل طائرة تغادر إلى (واشنطن) ؛ ليوفّر بضع ساعات ، استعدادًا للجولة التالية ..

الجولة الأمريكية .

من المؤكّد أن عرض (بروكوفيتش) قد أدهش المخابرات الأمريكية وأربكها بحق ، فعلى الرغم من مقابلته الشخصية مع (جورج توماس) ، لم يكن أحد يعلم أين يُقيم (بروكوفيتش) هذا ، أو كيف يمكن الاتصال به ، ففور خروجه من منزل (جورج) أجرى هذا الأخير اتصالاته برجاله ، وطلب منهم تعقبه ، والقيام بكل التحريات الممكنة حوله ، وحول سبيل وصوله إليه ، ولقد تحرك الكل فوراً ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى أى شىء .. إلا أن البحث ما زال مستمرًا ..

ثم إنه وعلى الرغم من الحرب الباردة ، التى استمرت سنوات طوال ، ومن عشرات الصراعات ، مع الجانب السوفيتى ، إلا أنها أوّل مرة يحدث فيها هذا ، ويعرض رجل

مخابرات سوفيتى نفسه للبيع ، مع هدية أكّد أنه لن يمكنهم الحصول عليها بدونها أبدًا ...

ولم يكن الأمر يحتاج إلى كثير من الذكاء ، ليدرك المرء أن هديته عبارة عن كومة من الأسرار السوفيتية ، بالغة السرية والخطورة ، والتى أمكنه الحصول عليها ، بحكم منصبه ..

ولكن ما لم يحدث أبدًا فى عالم المخابرات ، هو أن ينضمّ رجل مخابرات محترف إلى جهاز مخابرات مضاد ، حتى ولو قدّم قرابين الدنيا كلها .

ولقد قال (جورج) لرئيسه ، مفسرًا هذا :

- الرجل يشعر بالضياع ، بعد أن أدرك أن مخابراته تسعى للاستغناء عنه ، ويقول إن المخابرات هى المهنة الوحيدة التى يجيدها ، فى حياته كلها ، وأنه مستعد لتقديم كل خبراته وخدماته لنا ، مقابل مواصلة المهنة ، أيًا كان جهاز المخابرات الذى سيعمل لحسابه .. ثم إن (يورى بروكوفيتش) ليس غيبًا أو سافجًا .. لا ريب فى أنه قد أعدّ الأمر بحنكة ، بحيث لا يخسر لعبته هذه .

لم يكن أمامهم إذن سوى الانتظار حتى يخطو السوفيتى الخطوة التالية ، والاستعداد للإطباق عليه فور ظهوره .

وبأى ثمن ...

معلومات جديدة مثيرة ، توصل إليها عملاء المخابرات السوفيتية في (أمريكا) ، بشأن الجاسوس الهارب (يورى كلاشينكوف) .. لقد تعرّف أحد سائقي سيارات الأجرة الصفراء صورته ، وقرّر أنه قد نقله من مطار (واشنطن) ، إلى منطقة سكنية راقية ، تعرف باسم (فيينا) .. وبسرعة ، انتقل العملاء السوفيت إلى (فيينا) ، وراحوا ينبشون عن ضابطهم المنشق ، في حذر ونشاط .. وكم كانت دهشتهم ، عندما عثروا على المسكن الذي استأجره هناك .. صاحب المسكن تعرّفه على الفور ، وأكد أنه قد استأجر أحد المساكن ذات الطابقين ، تحت اسم (ويليام كاتديس) ، وبجواز سفر (سويدي) .. ولأن (بروكوفيتش) لم يكن في ذلك المنزل ، عندما بلغه العملاء السوفيت ، فقد اكتفوا بمحاصرته خفية ، وإبلاغ رئيسهم (فلاديمير كلاشينكوف) ، الذي يعرفونه باسم (أيجور) .. وكعادته لم يضع (كلاشينكوف) لحظة واحدة ، وحملته سيارة خاصة ، من مبنى السفارة إلى حي (فيينا) مباشرة .. وداخل منزل مجاور ، استأجره العملاء السوفيت ، وضع (كلاشينكوف) منظره المقرّب على عينيه ، وراح يفحص منزل (بروكوفيتش) طويلاً ، قبل أن يغمغم :

- إنه ليس هنا .

ولسبب ما ، خرجت الكلمة ، من بين شفّتيه متخاذلة ، مترددة ، وكأنما تعبر عن شك ما ، مازال يعرّب في أعماقه .. ولكنه ، ولأول مرة ، راح يضغط على عقله ، ليقنعه بحتمية الانتظار والحصار ..

الشيء الذي لم يدركه (كلاشينكوف) ، وهو ينتظر في المنزل المجاور ، أن الأمريكيين أيضاً قاموا بعملية بحث مماثلة ، قادتهم بالطبع إلى الهدف نفسه ، وأنه في نفس اللحظة ، التي نطق فيها كلمته الأخيرة ، كان (جورج توماس) ، رجل المخابرات الأمريكي يوقف سيارته ، على مسافة أمتار قليلة ، من المدخل الخلفي لذلك المنزل في (فيينا) ، ويراقبه مع رجاله ، و...

وفجأة ارتفع رنين الهاتف الخاص في السيارة ، فالتقطته أصابع (جورج) في حركة سريعة ، ورفعته إلى أذنه ، قائلاً ، بلهجة لا تخلو من التوتر :

- من المتحدّث !؟

تجمّدت أصابعه على سماعة الهاتف ، وانعقد حاجباه في شدة ، وسرت في جسده انتفاضة قوية ، عندما أتاه صوت

(بروكوفيتش) ، عبر أسلاك الهاتف ، وهو يقول فى هدوء صارم ، وبلهجة تحمل نبرات أمرة مستفزة :

- هل أنت مستعد للقاء التفاوض؟!؟

ازدرد (جورج) لعابه فى صعوبة ، وهو يسأل :

- متى وأين؟!؟

أجابه (كلاشينكوف) بنفس اللهجة :

- الثامنة مساءً متحف الفضاء والطيران . أمام نموذج (أبوللو - ١١) .. احضر وحدك ، وإلا فستلغى الصفقة كلها .

قالها ، وأنهى الاتصال فوراً ، دون أن يمنح (جورج) فرصة إلقاء سؤال واحد ، فاحتقن وجهه هذا الأخير ، ثم عاد يلتقط سماعة هاتف السيارة ، ويضغط أزراره فى سرعة ، ولم يكذب يسمع صوت محدثه ، حتى قال له فى لهفة :

- أخبرنى بمصدر المحادثة ، التى وصلتنى على التو .

اطمأن إلى أن المحادثة قد أجريت من داخل (واشنطن) ، من هاتف عمومى ، بالقرب من المطار ، وليس من أية ولاية أخرى ، ثم اتخذ قراره بمواصلة الحصار ، والذهاب للقاتل ، فى الموعد الذى حدده ، مؤكداً أنها ستكون الجولة الأخيرة ..

فى الوقت نفسه ، تلقى (كلاشينكوف) اتصالاً خاصاً ، فى ذلك المنزل ، المجاور لمنزل (بروكوفيتش) ، وسمع صوت واحد من أهم وأخطر عملاء المخابرات السوفيتية فى (أمريكا) ، وهو يقول فى توتر :

- سيد (أيجور) .. لقد رصدت منذ لحظات محادثة هاتفية ، بين نائب رئيس وحدة الجاسوسية المضادة (جورج توماس) ، والمنشق (يورى بروكوفيتش) ، من هاتف عمومى ، بالقرب من المطار الشرقى .. لقد حدد موعداً لمقابلته ، فى منطقة (سمانثونيان) ، حيث تجتمع المتاحف العامة .. وبالتحديد أمام نموذج (أبوللو - ١١) ، فى متحف الفضاء والطيران ، فى تمام الثامنة مساءً .

وعلى الفور ، وعلى الرغم من أن عقارب الساعة لم تتجاوز السادسة بعد ، انطلق (كلاشينكوف) بسيارة أمريكية ، تحمل لوحات ولاية (ميتشجن) ، إلى منطقة المتاحف فى (واشنطن) (سمانثونيان) ، وكيانه كله يرتجف انفعالاً ، ويشتعل حماساً .. لقد حسمت اللعبة أمرها بأسرع مما تصور بكثير ، وتحدد موعد المواجهة الأخيرة ، التى سيكون عليه أن يبرز فيها أستاذة ، ويتفوق عليه ، ويدحره .. وعلى مسافة كبيرة من متحف

الفضاء والطيران ، جلس ضابط المخابرات السوفيتي يراقب المكان ، بمنظر مقرب ، في حين انتشر رجاله ، الذين يجهلهم (بروكوفيتش) ، حول المكان ، بعيون كالصقور ، وأصابع متحفزة لضغط أزرادة المسدسات ..

وفي الساعة والنصف ، ظهر (جورج توماس) وحيداً منفرداً ، وإن لم تراود (كلاشينكوف) ذرة واحدة من الشك ، في أن جيشاً من رجال المخابرات المركزية الأمريكية حوله ، متخفين في عشرات الأزياء والمهن .. وببطء مستفز لكل الأطراف ، تحركت عقارب الساعة .. ومرّت الثواني بطيئة متثاقلة ، على نحو مستفز ، بالنسبة لمن هم خارج متحف الفضاء والطيران الأمريكي ، في (واشنطن) ، في انتظار وصول (بروكوفيتش) ، الذي أعلن أنه سيلتقي رجل المخابرات الأمريكي (جورج توماس) ، عند نموذج (أبوللو - ١١) .. ولعل أكثر من أصابهم التوتر هو (جورج توماس) نفسه ، الذي وقف عند النموذج ، يتلّفت حوله في قلق ، ويلقى نظرة على ساعته كل دقيقة وأخرى ، وهو يتساءل : لماذا تأخر (بروكوفيتش) عن مواعده ؟! لماذا ؟! لماذا ؟!

السؤال نفسه تردد بعنف ، في أعماق (فلاديمير كلاشينكوف) ، الذي عهد أستاذه دقيقاً ملتزماً ..

ولكن الأمر كله لم يكن تقليدياً بالتأكيد ؛ فمن المؤكد أن (بروكوفيتش) يدرك جيداً أن رجل المخابرات الأمريكي لن يحضر وحده ، حتى ولو أقسم على هذا ألف مرة .. هناك حتماً فريق كامل ، من رجال المخابرات الأمريكيين ، يحيط بالمنطقة كلها ، إحاطة السوار بالمعصم ، في انتظار ظهوره .. وكذلك فريق عملاء المخابرات السوفيتية ..

ورجل مُحَنَّك ، مثل (يوري بروكوفيتش) ، لن يأتي مباشرة كغز ساذج ، وإنما سيراقب المكان ، ويحوم حوله مرة .. ومرة .. ومرات ... ولكن الانتظار طال .. وطال .. وطال .. عقارب الساعة تجاوزت الساعة الثامنة والنصف ، وبدأت رحلتها نحو التاسعة ، والتوتر راح يُحيط بالكل ، ويشملهم حتى النخاع ، وبالذات (جورج) ، فقد تضاعف توتره ألف مرة ، وهو يقف عند نموذج (أبوللو - ١١) ، وسط المتحف الخالي ، الذي أغلقت أبوابه رسمياً منذ ساعات ، وبدأ يفقد الثقة في أن (بروكوفيتش) سيظهر من الأساس ، ثم لم يلبث أن ضرب قبضته اليمنى في راحته اليسرى ، صائحاً في غضب ساخط :

- لقد خدعنا .

في نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، انعقد حاجبا (كلاشينكوف) بغتة ، وكأنما سمع العبارة ، وانطلقت أفكاره

كالنيران ، لتشعل مخه كله بلا هوادة .. وبلا رحمة .. وفي ظلام السيارة الساكنة ، وعلى الرغم من عينيه المفتوحتين ، انطلق عقله يُعيد دراسة الموقف كله ، لحظة بلحظة ، وخطوة بخطوة .. وازداد انعقاد حاجبيه أكثر .. وأكثر .. وأكثر .. و...

وفجأة ، انتفض جسده كله في عنف ، وكاد يثب من مقعده ، وهو يصرخ في انفعال جارف عنيف :

- المطار !!

التفت إليه الكل داخل السيارة في دهشة قلقة ، فانغرست أصابعه في كتف أحدهم ، حتى كادت تخترقه ، وهو يهتف :

- المطار .. انطلق بنا إلى المطار مباشرة .

قال سائق السيارة في ارتباك :

- وماذا عن (بروكوفيتش) ؟! ألن تنتظره ؟!

هتف به في حدة :

- ألم تفهم بعد أيها الغبي ؟! إنه لن يأتي أبداً .

نطقها بكل ما يعتمل في نفسه من غضب هادر بلا حدود ..

لقد خدعه أستاذه ببراعة منقطعة النظير .. بل خدع الكل .. وبلا استثناء ..

لم تكد الشمس تشرق ، من خلف برج (إيفل) ، في قلب (باريس) ، حتى برزت تلك السيارة الفرنسية الصغيرة ، من شارع جانبي ضيق ، وانطلقت لبضعة أمتار ، قبل أن تتوقف عند آخر مدى مسموح به ، ويهبط منها رجل رصين وقور ، أشيب الفودين ، يرتدى حلة أنيقة للغاية ، ويحمل مظلة غالية الثمن ، ثم يتلفت حوله ، ويتجه مباشرة نحو أحد الأكشاك السياحية المنتشرة في المنطقة .. ولثوان ، وقف وحده ، إلى جوار الكشك ، قبل أن يبرز من خلفه فجأة رجل يرتدى معطفاً سميكاً ، من طراز رديء الصنع ، تبادل معه في اقتضاب كلمة السر المتفق عليها ، ففتح ، وهو يمدّ يده للقادم ، قائلاً :

- مرحباً يا سيد (بروكوفيتش) .. أنا (إدوارد هاينز) ، من السفارة البريطانية .

ثم ناوله إيصالاً من أحد البنوك السويسرية ، بمبلغ خمسة ملايين جنيه إسترليني ، وهو يستطرد :

- لقد تم إيداع المبلغ بالاسم الذي طلبته ، وهذا الإيصال دليل على ذلك .. والآن أين الأسطوانة ؟!

ابتسم (بروكوفيتش) ، وهو يقول :

- ألا تخشون أن يكون كل هذا مجرد خدعة !؟

هزّ البريطاني رأسه في هدوء ، قائلاً :

- مطلقاً ياسيد (بروكوفيتش) .. نحن أيضاً لنا عيوننا وسط جهاز مخابراتكم ، ولقد أبلغونا بكل ما فعلته ، ولكنهم لم يتصوروا أنك ستخدع الأمريكيين والسوفيت ، وتتركهم يبحثون عنك في (أمريكا) ، في حين كنت تستقل الطائرة لتلتقي بنا هنا ، في (باريس) ..

بدت ابتسامة (بروكوفيتش) غامضة ، وهو يقول :

- اللعبة أكبر مما يمكن أن يتصور أحد .

قال البريطاني بنفس الهدوء البارد :

- نعم .. ولكننا ربحنا كالمعتاد ، وتركنا الكبيرين يواجهان بعضهما عبثاً .

اكتست ابتسامة (بروكوفيتش) بغموض أكثر ، وهو يقول :

- بالطبع .

أخرج البريطاني جهاز الكمبيوتر النقال من حقيبته ، ودسّ فيه الأسطوانة ، وانتظر حتى بدأت عملها ، وألقى نظرة سريعة على محتوياتها ، قبل أن يغمغم :

- عظيم .. الخبراء سيراجعون المعلومات ، و...

انتبه فجأة إلى أنه يقف وحيداً ، فتلفت حوله في دهشة ، ولكن (بروكوفيتش) كان قد اختفى .. تماماً .. بل لقد كانت آخر مرة يراه فيها رجل مخابرات ، من أية دولة كانت .. فقد تلاشى تماماً ، وكأنما لم يكن له وجود قط ، تاركاً خلفه ثلاثة من كبريات أجهزة المخابرات العالمية ، في غضب وثورة بلا حدود ..

وبوسيلة ما ، تم سحب الملايين الاسترلينية الخمسة ، بعد نصف الساعة فحسب ، من لقائه مع البريطاني ، من ذلك الحساب في البنك السويسري ، ولا أحد يعلم كيف ، ولا أين ذهب بعدها !

الأمريكيون اشتعلوا غضباً ، لأنه استغلهم لخداع السوفيت ، وجذبهم إلى مضمار واسع ، في الوقت الذي كان يعقد فيه صفقته مع البريطانيين .. والسوفيت ساءهم أن ينتهي عهد المخابرات السوفيتية (KGB) ، بخدعة كبيرة كهذه ، فشلوا في السيطرة عليها ، أو كشف أمرها .. أما البريطانيون ، فقد كانوا أكثر الجميع غضباً وثورة بالتأكيد ، هذا لأن (يوري بروكوفيتش) كان ذكياً وعبقرياً في مضماره ،

ولكنه لم يكن أبداً خائناً ، لذا فكل ما حصلوا عليه منه هو معلومات عادية ، يعرفونها بالفعل من قبل ..

وكانت هذه رسالة للجميع ، ليُدركوا أن الجاسوس العبقري ، لم ولن يتورط في لعبة الخيانة .. إلا إذا دعت الحاجة إلى هذا .. والحاجة ستدعو هنا ، لو أُصرِّوا على مواصلة البحث عنه .. عندئذ .. وعندئذ فقط ، سيسلم أسرار بلاده لمن يدفع ثمناً أكبر ..

ولأن الرسالة واضحة ، فقد أغلقت المخابرات السوفيتية الملف ، وتجاهلت الأمر وكأنما لم يكن ، في نفس الوقت الذي نبشت فيه المخابرات الأمريكية والبريطانية الأرض ، بحثاً عن ذلك المنشق ، الذي وجّه لها أكبر صفقة في حياتها ، ولكن البحث كله ، في كل أنحاء الأرض ، لم يسفر عن أي شيء ، مما أكّد أن (يورى إيفان بروكوفيتش) يستحق بالفعل تلك السمة ، التي اشتهر بها طيلة عمره ، في صفوف المخابرات السوفيتية ..

أنه أستاذ .. وبحق .

★ ★ ★

موسوعة الجاسوسية :

المخابرات النفسية ..

معلومات من المفترض الحصول عليها بوسائل خارقة للعادة من خلال الإدراك فائق الحس (ESP) ، أو استخدام القوى النفسية ، ولقد سعت وكالة المخابرات الدفاعية DIA للحصول على هذا النوع من الاستخبار طوال عقد كامل ، وأنفقت ما يقدر بـ ٢٠ مليون دولار على مشروع ستارجيت ، الذي بدأ في الثمانينيات واستمر حتى عام ١٩٩٥ م ، عندما أنهى المسنولون البرنامج ، معترفين باستخدامهم لوسطاء روحانيين (يعرفون بـ « المشاهدين عن بُعد ») ، استخدموا بوساطة وكالات مخابرات أخرى بالإضافة إلى الـ DIA .

كان من الواضح أن مجازفة البنتاجون بالدخول في ملف « الأمور الخارقة للعادة » ، هي افتداء بمحاولات السوفيت في جمع مثل هذه الاستخبارات النفسية ، والتي فضحت على نطاق واسع بنشر كتاب « الاكتشافات النفسية وراء الستار الحديدي » في الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ م .

وذكر مؤلفي الكتاب : « شيليا أوستراند » و « لين شرودر » أنهما قد أجروا مقابلات مع عديد من العلماء السوفيت ، الذين

عملوا لعدة سنوات في مجال الباراسيكولوجي والإدراك فائق الحس ESP .

تضمن الكتاب العديد من التجارب السوفيتية في هذا الصدد ، منها واحدة أثارت اهتمام الباحثين في البحرية الأمريكية فيما بعد .

وضع السوفيت أرناب رضية في غواصة في عمق البحر ، وأدخلوا أقطاباً كهربية في دماغ الأرنبة الأم ، التي احتفظوا بها في معمل على الشاطئ ، وفي اللحظة التي قتل فيها الشخص المسنول عن التجربة أرنبا وليداً ، حدث رد فعل في عقل أم الأرنب ، وأقر عالم سوفيتي :

« كان هناك اتصال ، لقد سجلت أجهزتنا هذه اللحظات من الإدراك فائق الحس (ESP) بوضوح » .

وعلى ما يبدو ، فإن السوفيت قد بدعوا عملهم هذا بعد فترة قليلة من إعلان الفرنسيين عن أن البحرية الأمريكية تختبر « لتليثي » ، أو التخاطر من السفينة - إلى - الشاطئ ، مستخدمين « ناونتيلس » أول غواصة نووية في التاريخ . ونقل « أوستراند » و « شرودر » عن د . « ليوتيد ل . فازيليف » - عالم النفس السوفيتي والكتاب ذي الإنتاج الغزير في مجال الباراسيكولوج - قوله :

حرب الجواسيس ١٠١

« لقد أجرينا حتى الآن أبحاثاً شاملة ، وغير مسجلة على الإطلاق على الـ ESP في عهد ستالين ! »

اليوم تقوم البحرية الأمريكية باختبار (التليثي) على غواصاتهم الذرية يجب علينا أن نخوض داخل هذا الحقل الحيوي لاستكشافه .

اهتم المسئولون بالبنتاجون بـ « الاكتشافات النفسية وراء الستار الحديدي » بعد نشره بفترة وجيزة ، إلا أنه ليس معروفاً ما إذا كان هذا الكتاب هو الذي أدى إلى ظهور برامج الـ DIA من عدمه . كشفت « الواشنطن بوست » في نوفمبر ١٩٩٥ م عن حقيقة تعيين الوسطاء « الروحانيين » الذين عملوا في (ستارجيت) بموقع لـ اس ايه في حصن مباد .

كان مشروع (ستارجيت) قد انتهى بهدوء في منتصف عام ١٩٩٥ م تقريباً ، بعد أن تولت الـ سي آي ايه أمره بوقت قصير ، وقررت عدم جدوى إنفاق أي أموال على هذا المشروع بناءً على تقارير سلبية من مستشارين خارجيين .

والعكس تماماً ، مازال العاملين بالـ DIA مؤمنين بأن ١٩ حالة على الأقل ، من حالات (المشاهدين عن بُعد)

أثمرت نتائج ناجحة .. ففي إحدى الحالات ، في سبتمبر ١٩٧٩ م ، استفسر مجلس الأمن القومي عن غواصة سوفيتية قيد الإنشاء . تنبأ (المشاهدون عن بُعد) أن غواصة سوفيتية مسلحة بـ ١٨ إلى ٢٠ أنبوبة لإطلاق الصواريخ و« بمساحة خلفية مسطحة وضخمة » وستنطلق في خلال ١٠٠ يوم . وبالفعل ، شوهدت غواصتين بأتابيب صواريخ (ولكن بعدد أقل من المتنبأ به) في خلال ١٢٠ يوماً .

« جوزيف ماك مونيجل » ضابط الاحتياط الأمريكي ، وأحد « المشاهدين عن بُعد » في (ستارجيت) - الذي حوّل اسمه الكودي إلى (جريلفلام) - في عام ١٩٧٨ م صرح بأن المعلومات التي كان يحصل عليها هو وزملاؤه من « المشاهدين عن بُعد » كانت مكملة للاستخبارات القادمة من المصادر التقليدية .

كانت الجهات المطالبة بالاستخبارات النفسية ، كما ذكر ، هي الـ سي آى ايه ، وان اس ايه ، وهيئة الأركان المشتركة ، والخدمة السرية ، ومكتب الجمارك ، وخفر السواحل .

قصة العدد

المنشوق

١- هروب ..

على الرغم من الهزيمة الواضحة ، التي منى بها (أدولف هتلر) ، زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني (النازي) ، في انتخابات رئاسة الجمهورية ، في عام ١٩٣٢م ، إلا أن حزبه احتل أكبر عدد من مقاعد الرايخستاغ ، مما أجبر الرئيس المنتخب (هندنبورج) على تعيينه رئيساً للوزراء ، في يناير ١٩٣٢م ..

ومنذ اللحظة الأولى ، التي تبوأ فيها (هتلر) عرش السلطة ، استعان برفيقيه (جوبلز) و (هملر) ، الأول كبوق للدعاية ، ولترويج أفكاره ، التي ترجع كل ما حاق بـ (ألمانيا) ، من تدهور اقتصادي واجتماعي ، إلى الرأسمالية اليهودية ، والشيوعية ، ومعاهدة (فرساي) ، وتبشير الشعب الألماني بعهد جديد ، تصبح فيه (ألمانيا) دولة مرهوبة الجانب ، قوية الكلمة ، تنعم ببحبوحة من العيش ..

أما الثاني ، فقد كانت مهمته ، التي بدأت سرية ، وتحت رعاية عدد من كبار رجال الصناعة ، هي الاعتداء على خصوم (هتلر) ، وإرهابهم ، بل وإزاحتهم من الحياة كلها ، لو اقتضى الأمر ..

ودون تردد ، بدأ (هتلر) عهداً ديكتاتورياً صارماً في (ألمانيا) ، وشن حرباً عنيفة على الشيوعيين ، الذين اتهمهم بحرق دار (الرايخستاغ) ، واستغل الفرصة لوضع كل مرافق (ألمانيا) تحت إشرافه الشخصي ، وانتزع كل السلطات لنفسه ، وأشاع موجة رهيبية من الرعب والإرهاب ، وخاصة مع المذبحة التي قام بها عام ١٩٣٤م ، ومعسكرات الاعتقال ، التي ألقى فيها كل خصومه ..

وعقب تلك المذبحة الدموية الرهيبة ، تم توحيد رئاسة الجمهورية مع رئاسة الوزراء ، وامتلك (أدولف هتلر) زمام كل السلطات في قبضته ..

وكان هذا إيذاناً ببدء عهد جديد ..

عهد أكثر شراسة ، ووحشية ، وعنفاً ، ودموية ..

وبوساطة جهاز (الجستابو) الرهيب ، تم اعتقال كل المعارضين ، والتنكيل بهم ، بمنتهى العنف والوحشية ، وبدأ نزيف الدم ، على نحو غير مسبوق ، في تاريخ (أوروبا) كلها ..

وكرر فعل طبيعي ، يرتبط بالطبيعة البشرية ، وغريزة الدفاع عن النفس ، أثر معظم المعارضين الصمت ، وقبعوا

في بيوتهم ساكنين مرتجفين ، وأطبقوا أفواههم تمامًا ،
أو راحوا يخالفون ما يؤمنون به ، ويعلنون تأييدهم للحزب
النازي ، وزعيمه الرهيب ، بل إن بعضهم قد سارع
بالانضمام إلى الحزب ، وتسجيل اسمه فيه ، ولصق شارته
على صدره أو ذراعه ؛ اتقاء للشر الرهيب الذي جثم على
صدور الكل بلا رحمة ..

وقلائل هم من رفضوا هذا ، وأصرروا على الصمود
والمقاومة ، والتشبث بمبادئ الحرية والديمقراطية
والانفتاح ..

ولأن المناخ لا يتسع لوجود مثل هذه الفئة ، في دولة
أبرزت أنيابها ومخالبها ، وباتت تستعد لحرب طاحنة
قادمة ، لم يكن أمام المنشقين عن النظام إلا أن يعبروا
الحدود ، ويلجئوا إلى الدول الحرة المجاورة ، وعلى رأسها
(سويسرا) ..

ومن بين تلك الفئة المعارضة ، كان (رود ألدريتش) ..

و(ألدريتش) هذا كان صحفيًا سياسيًا ، له أعمدة
شهيرة ، في أكثر من سبع صحف يومية ، ثم جاء الرايخ

الثالث ، ليضع رقابة صارمة على الصحف ، ويمنع نشر أية
انتقادات ، ويطارد وينكل بكل صحفي ، ما زال يتصور أن
هناك قلمًا حرًا ، في (ألمانيا) النازية كلها ..

ولم يحتمل (ألدريتش) هذا ، إلا أنه لم يعلن احتجاجه
أو معارضته ، وإنما راح يبحث عن وسيلة لإمساك العصا
من منتصفها ، بحيث لا يضطر لمنافقة الحزب النازي ،
أو للفرار من وطنه كله ..

ولأنه لا يمتلك أي مصدر آخر للرزق ، ولأن علاقته بالإدارة
كانت جيدة ، إلى حد كبير ، نجح (ألدريتش) في إقناع مسئول
الجريدة بنقله ، من قسم التحقيقات السياسية ، إلى قسم
المراسلين الأجانب ، بحيث لم يبدأ عام ١٩٣٥م ، حتى أصبح
المراسل الأول ، لواحدة من كبريات الصحف النازية ، في
(برن) ..

وبسرعة ، جمع (ألدريتش) مقتنياته القليلة ، وحمل
حقيبة واحدة ، حتى لا يثير الشبهات ، وسافر بخطاب النقل
الرسمي إلى (سويسرا) ..

وهناك ، ووسط مناخ حر محايد ، استقر (ألدريتش) ،
وراح يرسل إلى صحيفته بنفسه أخبار الفن والمجتمع ،

متحاشياً تماماً عالم السياسة ، وخاصة بعد أن رصد بنفسه عملية اغتيال دموية عنيفة ، راح ضحيتها صحفي ألماني آخر ، استقر منذ بضعة أشهر في (لوزان) ، وتصور أنه صار آمناً ، فراح يهاجم الفكر النازي لثلاثة أشهر ، قبل أن يتم العثور على جثته ، وقد تم ذبحه كالنعاج ، في حجرة نوم شفته الصغيرة ..

وعلى الرغم من أن الشرطة السويسرية قد عجزت تماماً عن التوصل إلى الفاعل الحقيقي ، إلا أن كل ألماني كان يدرك جيداً أن عملية الاغتيال الوحشية هذه تحمل بصمة (الجستابو) ، وتوقيع قائده الدموي (هملر) ، الذي لا يرحم أبداً كل من تسول له نفسه مجرد انتقاد نظم النازية وأيديولوجيتها ..

يومها ، أقسم (ألدريتش) على نفسه أن يبتعد تماماً عن السياسة ، مهما كانت الأسباب ، وأن يستقر تماماً في (سويسرا) ، حيث الأمن والأمان ، والبعد عن الخطر والتكيل ، و...

ولكن - فجأة - تغيرت الظروف كلها تماماً ..

تغيرت بزيارة واحدة ..

ف ذات مساء ، كان (ألدريتش) يعود إلى منزله ، عندما ارتطم فجأة برجل وسيم طويل ، وقبل أن ينطق حرفاً واحداً ، اعتذر له الرجل في سرعة ، بلغة ألمانية سليمة ، حملت لكنة أجنبية بسيطة ..

وتجمد (ألدريتش) في مكانه ..

ففي قلب (سويسرا) ، لم يكن من المؤلف أبداً أن ترتطم بشخص ما ، فيعتذر لك بلغة ألمانية !!

وبكل هلع ، حدق (ألدريتش) في وجه ذلك الوسيم ، الذي همس ، وهو يبتعد في خطوات سريعة :

- اقرأها عندما تستقر في منزلك .

ارتجف جسد (ألدريتش) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه مع العبارة ، التي لم يفهم منها حرفاً واحداً ، واتسعت عيناه في رعب مبهم ، وهو يتابع ببصره ذلك الوسيم ، الذي واصل طريقه في هدوء ، حتى اختفى عند أول ناصية ..

وبأطراف تلماسك بالكاد ، واصل (ألدريتش) طريقه إلى منزله ، وارتجفت أصابعه الممسكة بالمفتاح ، وهو يبذل

جهدًا فائقًا ، ليدسه في ثقب الباب ، ولم يكد يدلف إلى المنزل ، حتى ألقى جسده على أقرب مقعد إليه ، وراح يلهث على نحو عجيب ، وكأنما كان يعدو طيلة النهار ، ويبدل جهدًا ما بعده جهد ..

ولخمس دقائق كاملة ، عجز (ألدريتش) عن التقاط أنفاسه في يسر ، ثم لم يلبث أن هدا ، واعتدل ، وراح يفتش جيوبه في لهفة ، حتى عثر على تلك الورقة الصغيرة المطوية ، التي دسها ذلك الوسيم الطويل في جيب معطفه ، بمهارة يحسد عليها ..

وبكل توتر الدنيا ، فرد (ألدريتش) الورقة ، وحدق فيها طويلاً ..

كانت ورقة صغيرة ، مطبوعة على آلة كتابة تقليدية ، وتقول بلغة ألمانية سليمة :

- لو أنك مازلت تبغض النظام النازي ، وترغب في مواجهته ، على نحو إيجابي ، اتصل بنا .. نحن نشاركك توجهاتك .

وفي نهاية العبارة ، كانت هناك تعليمات دقيقة ، عن وسيلة الاتصال ، في حالة الموافقة ..

فكل ما كان عليه أن يفعله ، هو أن يلصق مربعًا أحمر صغيرًا ، في الزاوية الخارجية لنافاذة شفته ، المطة على الشارع الكبير ..

وعاد جسد (ألدريتش) يرتجف ..

ففي أعماقه ، نبت فجأة خوف رهيب ، من احتمال أن يكون كل هذا مجرد خدعة ..

خدعة من أساليب الخداع القذرة لرجال (الجستابو) ، في محاولة لكشف انتماءاته الفكرية الحقيقية ، وتحديد هويته ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لتصفيته ؛ لو أنه أعلن رفضه للنظام ..

وفي أغوار عقله ، راحت الأفكار والمشاعر تتصارع في عنف ، ومخه يدرس الموقف ، ويحلله ، ويديره على كل الوجوه ..

فمن الناحية العملية البحتة ، كان الاحتمالان متساويين تمامًا ..

من المحتمل جدًا أن تكون خدعة من (الجستابو) ، ومن المحتمل أيضًا ، وبنفس القوة ، أن تكون محاولة من نظام مضاد ، للاتصال به ..

وكان عليه أن يحسم موقفه .. وبسرعة ..

ولأنه صحفي قديم ومحنك ، اعتاد مواجهة عشرات المواقف الصعبة والمعقدة ، فقد وضع (ألدريتش) خطة ، بدت له متوازنة تماماً ؛ لمواجهة هذه المعضلة العسيرة ..

وكانت خطته تعتمد على إتمام الاتصال ، مع أولئك الذين يجهل هويتهم ، والاستماع إليهم جيداً ، فإذا ماراودته ذرة شك واحدة بشأتهم ، فسينطلق على الفور إلى السفارة الألمانية ، ويبلغ المسنولين العسكريين فيها عما حدث ، تفادياً لأية احتمالات ، وإعلاناً لولاء زائف للنظام النازي ..

وهنا ، وعندما توصل (ألدريتش) لهذا القرار ، قام بلصق ذلك المربع الأحمر الصغير ، في الزاوية الخارجية لنافاذة شقته ، المظلة على الشارع ، وجلس ينتظر الاتصال ..

ولكنه تلقى بدلاً من هذا مفاجأة ..

مفاجأة غير متوقعة ..

على الإطلاق !!

٢ - اتصال ..

أيام أربعة ، قضاه (رود ألدريتش) ، الصحفي الألماني ، المنشوق عن النظام النازي ، في انتظار إتمام ذلك الاتصال ، الذي أبلغته به جهة ما زال يجهل هويتها ..

في اليوم الثاني ، تصور أن المربع الأحمر الصغير غير واضح ، فأضأ النافذة ليل نهار ، ومن اليوم الثالث ، استخدم ضوءاً مباشراً عليه ، أما بعد نهاية اليوم الرابع ، فقد وقر في نفسه أن الأمر كله لا يعدو كونه مزحة سخيفة ، من شخص انعدم عنده الشعور بالمسئولية ، فألقى الموضوع كله خلف ظهره ، ونزع المربع الأحمر من نافذته ، وقرر العودة لممارسة عمله ، كمراسل لواحدة من كبريات الصحف النازية ..

وفي ذلك اليوم بالتحديد ، قضى النهار كله ، وشطراً من المساء في عمله ، حتى غادر المكتب في التاسعة ، وعرج بعده إلى مطعم صغير ، اعتاد تناول طعامه فيه ، فقضى هناك ساعة أخرى ، ثم ابتاع زجاجة الشراب ، وعاد إلى منزله الصغير ، قبل منتصف الليل بثلاث ساعة فحسب ..

وفي تلقائية ، دلف إلى مسكنه ، وأغلق الباب خلفه ،
وأشعل الأضواء ، و ...

« تأخرت عن موعدك الليلة .. »

اتبعث الصوت الهادئ بالعبارة فجأة ، بلغة ألمانية ، ذات لكنة
بريطانية واضحة ، على مسافة متر واحد منه ، فوثب (ألدريتش)
من مكانه في رعب ، وارتجف جسده كله في عنف ، وهو
يستدير ليحدق في رجل قوى البنية ، عريض المنكبين ، له رأس
أصلع ، وشارب أحمر كث ، اشترك مع النمش المنتشر في
وجهه ، ليفصح عن هويته ، وهو يبتسم في برود ، قائلاً :

- هل أفزعك؟! معذرة .. ولكنني أنتظر منذ التاسعة .

استمر (ألدريتش) يحدق فيه بضع لحظات ، قبل أن يهتف
بمنتهى العصبية :

- من أنت؟! وماذا تفعل هنا؟!!

تراجع أحمر الشعر في مقعده ، في هدوء مستفز ، وهو
يجيب بنفس البرود :

- الأسماء لن تصنع فرقاً كبيراً ، في هذه المرحلة ..

يمكنك أن تطلق على اسم (جون) .

ردد (ألدريتش) ، وقد أدرك مع الاسم واللكنة ، الهوية
الحقيقية لزياره :

- (جون)؟! أنت؟!!

قاطع أحمر الشعر ، في صرامة عجيبة :

- أنا هنا لمقابلتك ، وإقناعك بالعمل لحسابنا .

انكب طن من الحذر ، في عروق (ألدريتش) ، وهو
يقول :

- لحسابكم! من تعنى بالضبط؟!!

مال أحمر الشعر إلى الأمام ، وألقى لهجته الألمانية خلف
ظهره ، وهو يقول بإنجليزية لا تقبل الشك :

- نطلق على أنفسنا اسم المكتب السادس ، أما عندكم في
(ألمانيا) فيسموننا جهاز المخابرات البريطاني .

شهق (ألدريتش) ، واصطكت ركبته في عنف ،
وتخاذلت ساقاه ، وعجزتا عن حمله ، فترك جسده يهوى
على مقعد قريب ، وهو يغمغم :

- المخابرات البريطانية؟!!

نطقها ، وهو يواصل التحديق في أحمر الشعر ، الذى لاذ بصمت بارد طويل ، وكأنما يمنحه كل ما يحتاج إليه من وقت ؛ لاسترداد توازنه ، والسيطرة على رباط جأشه ، واستيعاب الموقف كله ، قبل أن يقول :

- قل لى يا هر (ألدريتش) ، أمازلت تبغض النظام النازى؟!

ترنّد (ألدريتش) ، وهو يتطلّع إليه فى حذر قلقى ، فتراجع أحمر الشعر فى مقعده بهدوء ، وتابع ، وكأنه لم يكن ينتظر جواباً :

- لو أنك كذلك ، ومستعد للتعاون معنا ، فسنقف جميعاً فى وجه المد النازى القديم .

وحمل صوته حزم وصرامة الدنيا كلها ، وهو يضيف :

- فما رأيك؟!

والمدهش أن الوثائق البريطانية ، التى تم نشرها ، بعد مرور نصف قرن ، على نهاية الحرب العالمية الثانية ، لم تشر قط إلى جواب (رود ألدريتش) على هذا التساؤل الأخير ، بل ولم تتحدث عما حدث عقب ذلك اللقاء مباشرة ..

ولكنها حدّدت ، وبمنتهى الوضوح ، أنه قد تغيرت أمور جذرية عديدة ، فى المرحلة التالية ..

ففجأة ، وعلى نحو أدهش معظم المعارضين السياسيين ، استعاد (رودلف ألدريتش) ، الشهير بـ (رود ألدريتش) ، نشاطاته الصحفية القديمة ، وميوله السياسية المعروفة ..

ولكن فى الاتجاه العكسى تماماً!!

فبلا مقدمات ، بدأ (ألدريتش) يكتب بحماس منقطع النظير ، عن الفكر النازى ، وعن عبقرية وأمعية وانفرادية الفوهرلر (أدولف هتلر) ، والمستقبل المبهر ، الذى ينتظر (ألمانيا) تحت قيادته ..

ومع هذا الانقلاب المفاجئ ، كان من الطبيعى أن يحاط (ألدريتش) فى (برن) ، بموجة من السخط والغضب ، من كل المعارضين للفكر النازى وأساليبه ..

ولكن (رود ألدريتش) تجاهل هذا تماماً ..

ولأن (سويسرا) بلد محايد حر ، لم يحاول أحد منع (ألدريتش) من ترويج أفكاره الحماسية ، ولكن كل المنشقين عن النظام أعلنوا غضبهم منه ، واستنكارهم

لموقفه ، وتجاهلوه أو تحاشوه تماماً ، حتى صار منعزلاً في (سويسرا) ، يتغنى وحده بعظمة النازية ، على الرغم من أن هذا لا يتناسب مع طبيعة عمله ، كمراسل صحفى عام .. ولكن أسلوبه هذا آتى ثماره ، على نحو مدهش ..

ف ذات صباح ، طلب (جوزيف جوبلز) ، وزير الدعاية النازي ، مقابلة الفوهرل شخصياً ، وما إن التقى به ، حتى وضع أمامه أحد مقالات (ألدريتش) ، قائلاً :

- هل قرأت مقالات هذا الرجل أيها الزعيم !؟

ألقى (هتلر) نظرة متعالية على الصحيفة ، قبل أن يقول بخشونة :

- اقرأها يا (جوزيف) .

وعاد (جوبلز) يلتقط الصحيفة ، وراح يقرأ مقال (رود ألدريتش) في حماس واضح ، تضاعف أكثر ، مع كلمات الصحفى المنمقة الأنيقة ..

ورويداً رويداً ، جذب الأمر اهتمام (هتلر) ، خاصة وأن المقال كان يشيد به ، وبفكره ، وتخطيطه ، ويتبأ بعلو شأن (ألمانيا) تحت قيادته ، و...

« مقال رائع يا (جوزيف) ! »

نطقها الفوهرل في ارتياح ، وابتسامة شاحبة تعلو شفثيه ، في واحدة من المرات القليلة ، التى تخلى فيها عن صرامته الآرية الشهيرة ، فاندفع (جوبلز) يقول في حماس واضح :

- و صحفى ممتاز أيها الزعيم !

ومال مستنداً إلى سطح المكتب براحتيه ، وهو يضيف :

- وحماس صحفى شهير مثله ، يمكن أن يصنع الكثير ، عندما تنطلق الرصاصة الأولى .

التقى حاجبا الفوهرل ، وتراجع في مقعده مفكراً ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى اقتضاب ، وبنتك الصرامة ، التى التصقت بأسلوبه دوماً :

- بالتأكيد .

ولم يكن (جوبلز) بحاجة إلى أكثر من هذه الكلمة ، ليبدأ فى اتخاذ إجراءاته ..

وعلى الفور ..

أما (ألدريتش) نفسه ، فعلى الرغم من كراهيته الشديدة لنظام الحكم النازي ، إلا أنه واصل مقالاته الحماسية الملتهبة ، التي تشيد به ، وبمستقبله المزهري والمرتبب ..

وفي المخابرات البريطانية ، وتحت إشراف أحمر الشعر ، الذي لن تفصح الوثائق البريطانية عن هويته ، قبل عام ٢٠١٥م ، راحت مجموعة من الخبراء تحدد ما يكتبه (ألدريتش) ، وكيف ومتى يقدمه ، بحيث يحدث أقوى تأثير ممكن ، على النظام النازي كله ..

ومن الواضح أن أسلوبهم كان عبقرياً وناجحاً للغاية ، فمع بدايات عام ١٩٣٨م ، تلقى (رودلف ألدريتش) برقية عاجلة من الصحيفة ، التي يعمل لحسابها ، تطالبه فيها بالعودة فوراً إلى (برلين) ..

وسقط قلب (ألدريتش) بين قدميه ، وأسرعت عقليته التحليلية تدرس الموقف ، وتضع أمامه كل الاحتمالات ..

ولأن القلق كاد يعصف بنفسه ، أجرى اتصالاً خاصاً ، يفترض ألا يستخدمه إلا في حالات الطوارئ ؛ في محاولة للقاء صاحب الشعر الأحمر ، الذي سنطلق عليه هنا اسم (جون) ..

ولكن الأمر كان أسرع من أن يحضر (جون) شخصياً للقاءه ؛ لذا فقد التقى به مندوب المخابرات البريطانية في (برن) ، ليسمع منه كل مخاوفه وهلعه ، قبل أن يختم الألماني حديثه ، قائلاً :

— ماذا لو أنهم يستدرجونني إلى (برلين) ؛ حتى يعاقبونني على تعاملتي معكم !؟

هزّ البريطاني كتفيه ، مجيباً في هدوء :

— ولماذا يتجشمون كل هذا الجهد ، لو أن كل ما يرغبونه هو الإيقاع بك !؟

وعلى الرغم من أن الجواب ليس شافياً على الإطلاق ، فقد اكتفى به (ألدريتش) ، واستقل القطار التالي ، عائداً إلى (برلين) ..

وهناك ، كانت في انتظاره مفاجأة ..

مدهشة !!

٣ - أهل الثقة ..

لم يكد (رودلف ألدريتش) ، الصحفي الألماني المنشوق ، يصل إلى مقر صحيفته النازية ، في قلب (برلين) ، حتى فوجئ برئيس التحرير شخصياً يهرع لاستقباله ، في حرارة غير مسبوقه ، وهو يقول بابتسامة كبيرة :

- مرحباً بعودتك يا هر (ألدريتش) .. كنت واثقاً من أنك ستعود إلينا يوماً .

صافحه (ألدريتش) في حذر ، وهو يتساءل في أعماقه عن سر هذه الحفاوة البالغة غير المسبوقة ، وأقلقه كثيراً اللقب ، الذي سبق به رئيس التحرير اسمه ، مما جعله يغمغم في توتر :

- إنها صحيفتي .. أليس كذلك !؟

قهقه رئيس التحرير ، في مرح لم يجد له (ألدريتش) ما يبرره ، وخصوصاً عندما ربت الرجل على ظهره في حرارة ومودة ، قائلاً :

- بالطبع يا هر (ألدريتش) .. بالطبع .

وتضاعفت دهشته أكثر وأكثر ، وتصارع في عقله ألف سؤال وسؤال ، إلا أن كل هذا قد زال دفعة واحدة ، عندما قاده رئيس التحرير إلى مكتب كبير فخم ، وأشار إليه ، قائلاً بابتسامة كبيرة :

- هذا هو مكتبك الجديد يا هر (ألدريتش) .

هتف (ألدريتش) :

- مكتبي أنا !؟

وهنا أجابه رئيس التحرير ، وهو يربت على ظهره مرة أخرى ، بنفس الحرارة :

- بالطبع .. إنه المكتب الوحيد ، الذي يليق برئيس قسم التحقيقات السياسية .. تقبل تهانئى يا هر (ألدريتش) .

وتسلم (ألدريتش) منصبه الجديد ، والدهشة تملأ كيانه كله ، وأدرك على نحو عملي - ولأول مرة - أن النفاق والتدليس مربحان للغاية ..

وبالذات في تلك الظروف ..

ومع الوقت ، والمعلومات التي حصل عليها ، من كل الأطراف ، فهم الصحفي سر الترقية ، والحفاوة الشديدة التي

استقبله بها رئيس التحرير ؛ عندما بلغه من مصارده ، أن (جوبلز) شخصياً ، كان وراء ترقيته ، وعودته إلى (برلين) .. ووفقاً للخطة ، التي وضعها (جون) في (بريطانيا) ، واصل (ألدريتش) مقالاته الحماسية الملهبة ، في الوقت الذي وضعت فيه (أوروبا) كلها يدها على قلبها ، في انتظار ما ستفسر عنه المباحثات الفرنسية البريطانية ، مع قيادات النازي ..

وكثيراً ما قضى (ألدريتش) ليليه ، وهو يعتصر عقله ، محاولاً استيعاب السر ، في أن تدفعه المخابرات البريطانية إلى كتابة مقالات كهذه ، تلهب حماس الجميع ، باعتراف معارضيهم أنفسهم ، مادامت الأمور تشتعل في (أوروبا) إلى هذا الحد !!

ولو أنه اكتسب عقلية رجال المخابرات البريطانية ؛ لأدرك الأمر بصورة مختلفة تماماً ..

فالقسم الذي يرأسه (جون) ، كان يرى أن الحرب هي النهاية الحتمية ، والمصير الذي لا فكاك منه ، مادام (أدولف هتلر) يتزعم (ألمانيا) ..

ولما كانت كل محاولات اغتياله قد باءت بالفشل ، فقد راح أفراد هذا القسم يتعاملون مع الموقف ، وكأن الحرب قد أصبحت حقيقة واقعة ، واستعدوا لاندلاعها ، في أية لحظة ..

ولهذا انتقوا (رودلف ألدريتش) ، من بين جميع المنشقين عن النظام النازي ، باعتبار أنه لم يعلن انشقاقه هذا ، أو يفصح عنه أبداً ، بدليل عدم اعتقاله أو السعي لاغتياله ، من قبل فرقة التصفية ، التي أنشأها (هملر) ..

ولأن النظام النازي مصرّاً على المواجهة ، إن عاجلاً أو آجلاً ، فقد رأى (جون) وفريقه أن مقالات (ألدريتش) ، مهما بلغت سخونتها ، لن تصبح أبداً السبب في اندلاع الحرب أو منعها ..

ولكنها ستمنحه هو تميزاً خاصاً ..

وخاصاً جداً ..

ولقد أدرك (ألدريتش) بنفسه هذه الحقيقة ، عندما فوجئ ، في أوائل عام ١٩٣٩م ، باستدعاء لمقابلة وزير الدعاية النازي (جوزيف جوبلز) .. شخصياً ..

وأمام (جوبلز) ، بذل الصحفي جهدًا يفوق طاقته ؛ ليبدو متماسكًا يقظًا ، وحاول عبثًا كتمان ارتجافته ، التي لم يعطى عليها (جوبلز) ، وإن رافت له في الواقع ؛ لأنها كانت دليلًا على قوته ، وسطوته ، والرغبة في قلوب الألمان تجاهه ..

وفي اقتضاب صارم ، قال (جوبلز) :

- نريدك هنا .

خيل لـ (ألدريتش) أنه لم يفهم العبارة جيدًا ، فتساءل بمنتهى الحذر :

- هنا ؟!

أجابه (جوبلز) بنفس الصرامة :

- نعم .. هنا .. الفوهرل يريد مستشارًا صحفيًا ، خلال المرحلة القادمة .. ولقد وقع اختيارنا عليك .

شعر (ألدريتش) بارتجافة عنيفة ، تسرى في كيانه كله ، ولم ينجح أبدًا في كتمان الذهول ، الذي سيطر على كل خلية في جسده ، وانحفر بوضوح على ملامحه ، على نحو راق - أيضًا - لوزير الدعاية النازي ، الذي حافظ على صرامته ، وهو يقول :

- أحضر كل ما تحتاج إليه ؛ فستقيم هنا خلال الفترة القادمة .. هيا .. لا تحديق في وجهي كالأبله هكذا .. هيا .

وغادر (ألدريتش) مكتب (جوبلز) ، وكل ذرة في كيانه تنتفض ، وعقله عاجز عن تصديق ما حدث ..

لحظتها أدرك أن (جون) وفريقه عباقرة ، وأن خطتهم قد نجحت نجاحًا منقطع النظير ، حتى إنه سيدخل مقر الفوهرل شخصيًا ..

ومن فرط حماسه وانفعاله ، كان (ألدريتش) يرغب بشدة في إبلاغ البريطانيين بما حدث ، إلا أن كلمات (جون) الحازمة ترددت في ذهنه :

- في المرحلة الأولى ، لا تحاول الاتصال بنا ، بأي حال من الأحوال ، مهما كانت أهمية ما لديك .. انتظر حتى نتصل نحن بك .. ولا تمل الانتظار .. أبدًا .

وكما أمره (جوبلز) ، أحضر (ألدريتش) حقيبة صغيرة ، تضم متطلباته الرئيسية ، واحتياجاته في أضيق الحدود ، وانتقل إلى مقر الفوهرل ..

وعلى الرغم من أنه لم يلتق به شخصياً ، طوال الأسبوع التالي بأكمله ، إلا أنه امتلأ بالانفعال والحماس ، وهو يرى بعينه شخصيات وقادة ، يكفي ذكر أسمائهم لإثارة الرعب ، في قلب أشد الرجال شجاعة وبأساً ..

وطوال ذلك الأسبوع ، لم يقم (ألدريتش) بأى عمل ، ولم يطالبه (جوبلز) ، أو أحد معاونيه بكتابة حرف واحد ، بل ولم ييال أحدهم بقراءة ما تطوَّع بكتابته من مقالات لتمجيد الفوهرل وسياسته ..

وهنا ، استعاد الصحفي كل مخاوفه وتوتراته !

وفي أعماق نفسه ، بدا له أن جلبه إلى مقر الفوهرل ، كان يستهدف إبعاده عن صحيفته ، ومنعه من مواصلة كتاباته لسبب ما ..

ومع تصوُّره هذا ، انكمش في حجرته ، فلم يفارقها أو يخرج منها أبداً ، حتى فوجئ بزيارة من (جوبلز) شخصياً .. كان الرجل يبدو صارماً قاسياً كعادته ، وهو يقف أمامه ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

- كيف يمكنك أن تثبت ولاءك للفوهرل !؟

ارتبك (ألدريتش) ، وحار في البحث عن الجواب ، ثم لم يلبث أن قال ، بصوت مبجوح ، من فرط الانفعال والتوتر :

- وكيف يمكن إثبات هذا يا جنرال !؟

حدَّجه (جوبلز) بنظرة صارمة طويلة ، قبل أن يجيب :

- لدينا وسيلة ..

نطقها بقسوة عجيبة ، هوى لها قلب (ألدريتش) بين قدميه ، وهو يردد ، في صوت بلغ خفوته حدًا ، يجعل سماعه عسيرًا :

- وسيلة !؟

شدَّ (جوبلز) قامته ، وأجاب بكل الصرامة :

- نعم .. وسيلة مضمونة !

قالها ، وغادر الحجرة ، قبل أن يوضح أو يفسر وجهة نظره ، ولم تمض دقائق قليلة على خروجه ، حتى جاء اثنان من ضباط (الجستابو) الأشداء ، واصطحبا الصحفي المرتجف ، إلى قُبو مقر الفوهرل ..

وهناك أجلساه على مقعد معدني بارد ، وأحاطا به
بمنتهى الصرامة ، في نفس الوقت الذي ظهر فيه (جوبلز)
بنفسه ، يصطحبه رجل في معطف الأطباء ، وعاد (جوبلز)
يشد قامته ، قائلاً :

— الطبيب سيحققك بعقار خاص ، قبل أن نلقى عليك
أسئلتنا .

تساءل (ألدريتش) بمنتهى الحذر :

— أي عقار هذا ؟!

وهنا ، أجابه الطبيب ، بابتسامة لم ترق له أبداً :

— في الواقع هو مصل .. مصل الحقيقة .

وعاد قلب الصحفي يهوى بين قدميه ..

وبمنتهى العنف .

٤ - الحقيقة ..

مصل الحقيقة ، أو بنتوثال الصوديوم ، عقار خاص جداً ،
اشتهر النازيون باستخدامه ، خلال الحرب العالمية الثانية ،
عند استجوابهم لأسراهم ومعتقليهم ؛ إذ إنه يضع المخ
البشرى في حالة من التوهان وعدم التوازن ، بحيث يعجز
صاحبه عن الابتكار أو التخيل ، مما يدفعه إلى الإدلاء
بالحقيقة .. والحقيقة وحدها ، عندما يتم توجيه أية أسئلة
مباشرة إليه ..

وبحكم عمله كصحفي ، وبحكم انتمائه للمخابرات
البريطانية ، كجاسوس في قلب القيادة النازية ، كان
(رودلف ألدريتش) يدرك جيداً ماهية مصل الحقيقة ..

وما سيحدث عند حقه به ..

وعلى الرغم من ذلك الرعب ، الذي سرى في جسده ، من
قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، إلا أنه راح يسترجع
بمنتهى الدقة كلمات وتعليمات (جون) ، وضابطا (الجستابو)
يصحبانه إلى قبو مقر الفوهرلر ؛ للتيقن من ولائه للنظام
النازي ..

ودون أن يحاول إخفاء توتره ، قال (ألدريتش)
للضابطين بصوت مرتجف :

- هل .. هل يمكنني تناول قذح من الماء ؟

لم يبد عليهما الحماس لمطلبه ، إلا أنهما كانا يعلمان أنه
ليس معتقلاً أو مشتتاً به ، وأنه سيخضع لاختبار تأييد
ولاء فحسب ؛ لذا فقد سمح له بتناول بعض الماء ،
وباستخدام دورة المياه أيضاً ؛ لإفراغ توتره وعصبيته ، قبل
أن يعاودا اصطحابه إلى القبو ..

وعندما أصبح داخل القبو ، كما سبق أن أوضحنا ، حاول أن
يستسلم للموقف كله ، وهو يشعر ببرودة المقعد المعنى ، و ...

وانحنى الطبيب نحوه ، وهو يتسم ابتسامة جنلة بغیضة ،
وحفته بالمصل .. مصل الحقيقة ..

وفي صوت يحمل بهجة مدهشة ، وكأنما يستمتع بكل
لحظة من عمله ، اعتدل الطبيب ، وتألقت عيناه ، قائلاً :

- عشر دقائق على الأكثر ، وسيبدأ المصل عمله .

وران على القبو صمت رهيب ..

رهيب ، حتى أن (ألدريتش) قد شعر وكأن قلبه نفسه قد
توقف عن النبض ، احتراماً لرهبة الموقف وتوتره ..

وبالنسبة إليه ، ومع العيون الصارمة ، المركزة على
وجهه ، بدت له الثواني أشبه بالساعات ، والدقائق وكأنها
دهور كاملة ..

وأخيراً ، أغلق عينيه ، وبدا أشبه بالنائم ، فقال الطبيب ،
في جنل أكثر :

- يمكنكم استجوابه الآن .

ومع قوله ، خفق قلب (ألدريتش) بقوة ..

بل بمنتهى القوة ..

والواقع أن الاستجواب نفسه لم يستغرق سوى ثلاث
دقائق فحسب ، سأله (جوبلز) خلالها عن اسمه وهويته ،
ثم طرح سؤاله مباشرة ..

هل يشعر بالولاء والانتماء للنظام النازي ، وزعيمه
(أدولف هتلر) ؟ !

وعندما انتهى الاستجواب ، بدت على الطبيب خيبة الأمل ، وكأنما خسر مشهداً عظيماً ، ثم انحنى يحقن الصحفي بعقار مضاد لمصل الحقيقة ، قبل أن يصطحبه (جوبلز) إلى حجرته شخصياً ، وهو يقول ، دون أن يتخلى عن صرامته التقليدية :

- تقبل اعتذارنا يا هر (ألدريتش) ، ولكنه إجراء أمنى حتمى ، للحفاظ على أمن الفوهرل وسلامته .

غمغم (ألدريتش) ، وهو يبذل جهداً رهيباً ، للسيطرة على أعصابه ومشاعره :

- بالتأكيد يا جنرال .. بالتأكيد .

وعندما بلغا حجرته ، ربت (جوبلز) على كتفه ، قائلاً :

- استعد يا رجل .. ستلتقى بالزعيم قريباً .

ولم يكذ يغلق الباب خلفه ، حتى انهار (ألدريتش) تماماً ، وهو يسترجع تفاصيل تلك اللحظات الرهيبة ..

فمن حسن حظه ، أو من حسن تدبير المخابرات البريطانية ، أنهم كانوا يتوقعون هذا الترتيب الأمنى وينتظرونه ؛ لذا فقد منحوه تلك القتينة الصغيرة ، التى تحوى مادة مضادة لمصل الحقيقة ، طلبوا منه تناولها ، فور معرفته بأنهم سيعرضونه إلى استجواب أمنى وقائى ..

وهذا ما فعله بالضبط ..

فعندما سمح له ضابطا (الجستابو) ، باستخدام دورة المياه ، أخرج القتينة الصغيرة من جيب خفى فى سترته ، وجرع محتوياتها كلها ، ثم تخلص منها ، بالأسلوب الذى لقيه إياه (جون) ..

وعندما تم حقيقته بمصل الحقيقة ، شعر برأسه يدور قليلاً ، وبتثاقل فى جفنيه ، واسترخاء نسبي فى أطرافه ..

ولكن ذهنه كان يقظاً صافياً ..

ومع أسئلة (جوبلز) ، بدأ يلعب الدور ، الذى تدرب عليه فى لقاءاته مع (جون) ، ورجال المخابرات البريطانية ..

لقد أغلق عينيه ، وبدا شاردًا ، ورتب إجاباته كلها ، بحيث تبدو تلقائية بسيطة .. وصادقة ..

وكما أخبره (جون) ، كانت هذه أدق مرحلة فى العملية كلها ..

ولقد تجاوزها بنجاح .. كبير ..

وربما لم يدرك مدى نجاحه ، وهو منكمش فى فراشه الصغير ، يسترجع تفاصيل تلك اللحظات الرهيبة ، إلا أنه

أيقن منه واستوعبه تمامًا ، عندما تم استدعاؤه ، في التاسعة مساءً ، لمقابلة أخطر رجلين ، في عهد الرايخ الثالث كله ..
(هتلر) .. و (هملر) ..

لحظتها جف حلقه ، من فرط التوتر والانفعال ، وأدى التحية النازية في قوة ، قبل أن يرمقه (هتلر) بنظرة طويلة ، ثم يقول في صرامة :

- دولتنا تستعد لاستعادة أمجادها القديمة ، وعليك أن تؤهل الشعب لهذا .

وأجابه هو في سرعة :

- أنا رهن إشارتك أيها الفوهرلر .

ورمقه (هملر) ، قائد (الجستابو) الرهيب ، بنظرة نارية قاسية ، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة ، في حين ألقى (هتلر) عبارته ، وتجاهله تمامًا بعدها ، وبدأ في مناقشة أحد الأمور الدارجة مع (هملر) ..

وفي لباقة ولياقة ، انسحب (ألدرينش) ، وهو يؤدي التحية النازية مرة أخرى ، في قوة وحماس ، وأسرع إلى حجرته ، دون أن يستوقفه أحد ، وقد غمر حماس مذهش كيانه كله ..

وفي حجرته ، راح يلهث .. ويلهث .. ويلهث ، من فرط توتره وانفعاله ، وقضى ما يقرب من سبع دقائق كاملة ، قبل أن يستعيد رباط جأشه ، ويلتقط نفسًا عميقًا ، ثم يتجه إلى المكتب الأنيق ، في ركن الحجرة ، ويمسك قلمه ، ويبدأ في كتابة أولى مقالاته ، بعد نجاح الجزء الأول من الخطة ..

وفي (لندن) ، حصل (جون) على نسخة الصحيفة النازية ، التي بدأت نشر مقالات (ألدرينش) ، ومن خلال كلماته وعبارته وجملته ، تلقى أول رسالة متفق عليها ..

الرسالة ، التي تشير إلى أن الجزء الأول من الخطة قد نجح ..

وعلى نحو مذهش ..

ومع فريقه ، اجتمع (جون) ، وزف إليهم الخبر ، فبدأ عليهم الارتياح ، وتساءل أحدهم في اهتمام :

- الآن سيمكنه أن يرسل إلينا كل المعلومات ، التي يمكنه الحصول عليها ، أليس كذلك !؟

تراجع (جون) في مقعده ، قائلاً في حزم :

- لا .. ليس بعد .. كل ما عليه ، فى هذه المرحلة ، أن
يثبت أقدامه فى مقر الفوهلر ، وأن يبلغنا بالتطورات الكبيرة
فى الأمر ، عبر مقالاته فحسب .

تساعل آخر :

- ومتى نبدأ الاستفادة القصوى منه إذن !؟

التقط (جون) نفساً عميقاً ، وأجاب بمنتهى الصرامة :

- مع الطلقة الأولى ..

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان أحد
ضباط (الجستابو) يدلف إلى حجرة (ألدريتش) ، وهو
يقول بمنتهى الصرامة :

- الجنرال (هملر) يطلب مقابلتك فوراً ، يا هر (ألدريتش) .

وعاد التوتر يسرى فى جسد الصحفى ، وهو يصطحب
الضابط إلى مكتب (هملر) ، وعقله يطرح ألف تساؤل
وتساؤل ، عن سر هذا الاستدعاء العاجل ..

وفى مكتبه ، استقبله (هملر) فى شىء من الصرامة ،
وغاص ببصره فى أعماق أعماقه ، أو هكذا خيل له ، إلا أنه

لم يطرح عليه سوى بعض الأسئلة العادية ، قبل أن يسمح
له بالعودة إلى حجرته مرة أخرى ..

وعلى الرغم من دهشته ، لم يحاول (ألدريتش) مناقشته ،
وعاد إلى حجرته ، إلا أنه لم يكذب يدلف إليها ، حتى وجد أمامه
مفاجأة !

مفاجأة ارتجفت لها كل أطرافه ..

بعنف !!

★ ★ ★

٥- هروب ..

لسبب ما ، لم يغمض لرجل المخابرات البريطاني ، الذي أطلقنا عليه اسم (جون) ، جفن ، طوال تلك الليلة ، حتى إنه جلس في شرفة منزله ، في طقس شديد البرودة ، يدخن غليونه ، دون أن ينطق بحرف واحد ، وذهنه يستعيد كل تفاصيل عملية (رودلف ألدريتش) ، ويناقش كل المخاطر والانفعالات ..

كان أكثر ما يقلقه هو قدرة (ألدريتش) نفسه على المواصلة والاحتمال ..

فبحكم خبرته كرجل مخابرات محترف ، كان يدرك جيداً أن نظم الأمن النازية ، التي يرأسها (هينرش هملر) ، تتبنى نظرية الشك الدائم ، وأنها لن تمنح ثقتها لمدني قط ، مهما حاز ثقة الفوهرل نفسه ..

وهذا يعنى أنهم سيواصلون اختباره ، ومراقبته ، والشك في أمره طوال الوقت ..

وهنا ، تبلغ احتمالات الخطأ أقصاها ، واحتمالات سقوط (ألدريتش) منتهاها ..

والحقيقة ، التي أعلنتها الوثائق ، التي كتبها (جون) بنفسه في تقاريره الرسمية ، أنه لم يكن يخشى سقوط (ألدريتش) ، بقدر ما يخشى فشل العملية ، التي تولاهما على مسئوليته الشخصية ، وراهن عليها بمستقبله كله ..

والسؤال ، الذي أدار عقله ، طوال تلك الليلة ، التي بدت وكأنها لانهاية لها ، هو : ما الذي ستفعله نظم الأمن النازية ، في المرحلة التالية !؟

وليلتها بقى سؤاله بلا جواب ..

على الإطلاق ..

أما (ألدريتش) نفسه ، فقد كان يواجه شكوك (الجستابو) بنفسه ، في حجرته الصغيرة ، في مقر الفوهرل ..

ربما بدت له الحجرة كعادتها ، هادئة منظمة ، إلا أن عينيه ، اللتين تم تدريبهما على قوة الملاحظة ، انتبهت إلى مجموعة من التغيرات البسيطة ، التي أكدت له حقيقة ، لا تقبل الشك ..

لقد تم تفتيش حجرته ..

وبمنتهى الدقيقة !

وكان هذا يعنى أنه ، فى الواقع ، لم يستقر فى مهمته بعد ،
أو أنهم قد تلقوا أية معلومة جديدة ، أثارت شكوكهم بشأنه ..

وعندما استدعاه (هملر) إلى مكتبه ، كانت هذه مجرد
وسيلة استدرجية ؛ لإبعاده عن حجرته ، وإجراء هذا
التفتيش الدقيق ..

ولأحد ينكر أن موقفه هذا كان شديد الدقة والصعوبة بحق ،
حتى إنه من السهل علينا أن نستوعب ، لماذا قضى ليلته مسهداً
أرقاً ، حتى أشرقت شمس اليوم التالى ، واستدعاه (جوبلز)
إلى مكتبه ، فذهب إليه صاحب الوجه ، منتفخ العينين ، يبدو
الإرهاق واضحاً ، على كل لحظة من لمحاته ، وعلى نحو
أدركه (جوبلز) على الفور ، فتراجع فى مقعده ، وهو
يسأله فى قلق ، اختفى معظمه خلف صرامته التقليدية :

- ماذا بك .. ألم تتم جيداً أمس !؟

كان (ألدريتش) ينوى تجاهل الأمر ، وعدم الإشارة إليه ،
إلا أن ذهنه المجهد ، من قلة النوم ، جعله يجيب فى تلقائية ،
حملت كل توتره وانفعاله :

- لقد تم تفتيش حجرتى أمس .

بدا من الواضح جداً أن الخبر قد أدهش (جوبلز) بصدق ،
فقد ارتفع حاجباه عن آخرهما ، حتى كادا يمتزجان بمنابت
شعر رأسه ، قبل أن يعودا للانعقاد بشدة ، وهو يقول :

- اطمئن .. لن يحدث هذا مرة أخرى .

قالها وزير الدعاية النازى ، ثم غادر مكتبه ، وطلب
مقابلة الفوهرل على الفور ..

ولم تسجل الوثائق البريطانية ، أو محاضر الاجتماعات النازية
العسكرية ، حرفاً واحداً مما دار بين (جوبلز) و (هتلر) ،
فى ذلك اليوم إلا أنه ، واعتباراً من مساء اليوم نفسه ، بدأ
(هملر) فى معاملة (ألدريتش) باحترام ومودة ، بل ومنحه
ابتسامة باهتة ، وهو أمر يندر أن يفعله مع أى كائن كان ،
وهو يستقبله فى حفل عشاء للقادة ، على شرف الفوهرل ..

ليلتها ، استعاد (ألدريتش) ثقته وهدوءه ، وشعر
بالاسترخاء والارتياح ، وهو يتحرك فى بساطة وحرية ، بين
جنرالات النازية ، ومعاونى ومساعدى (أدولف هتلر) ..

وليلتها - أيضاً - صافحه الفوهرل شخصياً ، وخاطبه باسمه
مجرداً ، وطلب منه أن ينتبه كثيراً ، فى المرحلة القادمة ..

وحول مائدة العشاء ، التي كان هو المدنى الوحيد فيها ، راح الجنرالات يتحدثون بحرية ، عن (أوروبا) ، وطموحات (هتلر) ، وخطته المستقبلية ، و...

وسجل عقل (ألدريتش) كل هذا ..
واختزنه ..

وشعر بتوتر ما بعده توتر ، وهو يستعيد كلمات (جون) ، الذى طلب منه عدم الاتصال بهم ، مهما كان ما لديه من أسرار ، حتى يتلقى اتصالهم هم به ..

فعندما عاد إلى حجرته ، كانت لديه كومة هائلة من الأخبار والمعلومات ، يسيل لها لعاب أى صحفى ، فى الدنيا كلها ، دون أن يمكنه نشر حرف واحد منها ..

ويا له من عذاب !

ووفقاً لتوجيهات (جوبلز) ، والتعليمات التى يتلقاها من الفوهرل شخصياً ، راح (ألدريتش) يكتب مقالاته الحماسية ، وينشرها فى كبريات الصحف ، لتقرأها (ألمانيا) كلها ، وليستقى منها (جون) وفريقه ، كل ما يهمهم معرفته ، فى المرحلة الحزرة التى يمر بها العالم كله ، وتمر بها (أوروبا) بالذات ..

وعبر قسم الدراسات الخاصة ، أدرك (جون) ، كما أدركت المخابرات البريطانية كلها ، من تحليل مقالات (ألدريتش) ، أن الحرب صارت وشيكة ..

أما (ألدريتش) نفسه ، فقد أدرك أنها قادمة ، فى غضون أسابيع قليلة ، وخاصة عندما استدعاه إليه (جوبلز) ، وسأله فى اهتمام شديد :

- قل لى يا (ألدريتش) : هل تؤمن بأنه من الضرورى أن نستعيد كل ما فقدناه ، فى معاهدة (فرساي) الحقيرة !؟

ودون تردد ، أجابه (ألدريتش) :

- بالتأكيد يا جنرال !

وهنا ، مال (جوبلز) إلى الأمام ، وسأله فى اهتمام أكثر :

- وماذا عن (النمسا) !؟

وأدرك (ألدريتش) الموقف على الفور ، كصحفى قديم محترف ..

واعتباراً من صباح اليوم التالى ، بدأ كتابة مقالات منتهبة ، تهاجم معاهدة (فرساي) ، وتذكر الألمان بما فقدوه بسببها ، وتحدث عن ضرورة استعادة (النمسا) ، التى هى جزء لا يتجزأ من الدولة الألمانية العظيمة ..

والتقطت المخابرات البريطانية الرسالة ..

وأعلنت حالة الطوارئ القصوى ، في منتصف فبراير
١٩٣٩ م ..

وفي مارس ، بعد أقل من شهر واحد ، انطلقت القوات
النازية تستولى على (بوهيميا) و (مورافيا) ، وتشعل فتيل
الحرب العالمية الثانية ..

وعلى الرغم من أن الأمر لم يكن مفاجئاً أبداً ، إلا أنه
كان بمثابة الصدمة ، لكل مخلوق في العالم أجمع ؛ إذ كان
يعنى أن عجلة الحرب قد دارت ، وأنها لن تتوقف ، إلا بعد
أن تريق أنهاراً من الدم ، بلا حدود ..

وفي إبريل ١٩٣٩ م ، تلقى (رودلف ألدريتش) برقية ،
من أحد أصدقائه في (برن) ، حيث كان يعمل سابقاً ،
يحاول من خلالها الاطمئنان عليه ، ومعرفة أحوال
(ألمانيا) ، بعد اشتعال الحرب ..

وكما ينبغي أن يفعل أي مواطن نازي صالح ، سلم
(ألدريتش) البرقية للجنرال (هملر) ، قائد (الجستابو) ، ثم عاد
إلى حجرته ، ليكتب مقالاً ملتهباً آخر ، عن حق (ألمانيا) في
استعادة (النمسا) ..

وفي هذه المرة ، كانت كل ذرة في كيانه ، تلتهب بحماس
حقيقي ..

فالبرقية ، التي لن يتوصل منها (هملر) وجهازه إلى أي
شيء ، كانت في واقعها إشارة البدء ، التي تعلن (ألدريتش)
أن مرحلة النشاط قد حانت ، وأن عليه أن يجمع كل المعلومات
الممكنة ، وأن يرسلها إلى البريطانيين أولاً بأول ، ووفقاً للوسيلة
المتفق عليها منذ البداية ..

ومع مقالاته القوية ، بدأ (ألدريتش) يقوى صلته وعلاقته
مع جنرالات النازية ، بحجة معرفة ما ينبغي كتابته ، في كل
مرحلة قادمة ..

ودون حتى أن يبذل الكثير من الجهد ، كانت ثقة (جوبلز)
والفوهلر فيه ، تحل أسنة معظم الجنرالات ، في تعاملاتهم معه ..

وبدقة مدهشة ، ووسيلة خفية متفق عليها ، كان (ألدريتش)
يدون كل ما يحصل عليه من تفاصيل ومعلومات ، وينتهز أول
فرصة ، للخروج من مقر الفوهلر ، بحجة شراء أوراق
أو حبر أو أقلام ؛ ليسلم كل ما لديه لرجل عجوز ، يمتلك مكتبة
متواضعة ، فيعمل هذا العجوز على توصيلها إلى المخابرات
البريطانية ، عبر جهاز اتصال لاسلكي ، تم إخفاؤه في قلب
المكتبة ، بأسلوب سحري ودقيق للغاية ..

وعبر (ألدريتش) ، علم رجال المخابرات البريطانية مسبقاً بعقد ميثاق عدم الاعتداء ، بين النازيين والسوفيت ، في أغسطس ١٩٣٩ م ، وبالهجوم على (بولندا) ، في أول سبتمبر ..

وأعلنت (إنجلترا) و(فرنسا) الحرب على (ألمانيا) النازية ..

واتخذت الأمور منحى آخر ..

وبينما استغرق (ألدريتش) في عمله الصحفى والمخابراتى ، فوجئ باستدعاء جديد ، وبأمر عجيب يصدر بشأته ..

عجيب جداً !!

٦ - مدنى .. وعسكرى ..

دلف (رودلف ألدريتش) ، الصحفى الألمانى المنشوق ، الذى يعمل خفية ، لحساب المخابرات البريطانية ، مكتب الدعاية النازى (جوزيف جوبلز) ، وهو يقدم قدمًا ويؤخر أخرى ، وبذل جهدًا حقيقياً ، ليبدو هادئًا متماسكًا ، وهو يسأله فى احترام :

- فى خدمتك يا جنرال .

اعتدل (جوبلز) على مقعده ، وتأمله بنظرة صارمة فاحصة كعادته ، قبل أن يشبك كفيه أمامه ، وهو يقول :

- الواقع أن الفوهرلر له اعتراض بشأتك يا (ألدريتش) .

خفق قلب الصحفى فى عنف ، وهو يتساءل :

- ولماذا يا جنرال؟! ألم ترق له مقالاتى الأخيرة؟!

هزَّ (جوبلز) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مقالاتك كلها عظيمة ، ولكن هذا ليس وجه اعتراضه .

وانخفض صوت (ألدريتش) ، وهو يتساءل بقلق عارم :

- ماذا إذن يا سيدي؟!

مط (جوبلز) شفته السفلى، وهو يتطلع إليه طويلاً، قبل أن ينهض من خلف مكتبه، ويعقد كفيه خلف ظهره، قائلاً:

- في الاجتماع الأخير، لم يرق للفوهرل مظهره وسط القادة، بزيك المدني هذا.

تمتم (ألدريتش)، وأعماقه كلها ترتجف:

- ولكنني مجرد صحفي يا جنرال، و...

قاطعته (جوبلز)، وهو يواصل، على نحو يوحي بأنه لم يكن ينتظر سماعه:

- لذا، فقد أصدر أمراً مهماً بشأنك.

وهنا، جفَّ حلق (ألدريتش)، وتجمدت عيناه في محجريهما، وأطلق عقله عشرات الافتراضات المزعجة في رأسه، قبل أن يواجهه (جوبلز) مباشرة، وهو يضيف في حزم:

- ومنذ اليوم، سترتدي زيًا عسكريًا.

حدَّق (ألدريتش) فيه، بكل دهشة الدنيا، وهو يتابع بنفس صرامته الجافة المعهودة:

- ستحمل رتبة في جيش النازي العظيم، وسنمنحك تصريحاً خاصاً، يمنحك امتيازات ضابط (جستابو).

خيل للصحفي أن قلبه ينتفض بين ضلوعه، ويكاد يثب من حلقه، في حين ربت (جوبلز) على كتفه، قائلاً:

- تقبل تهانئي يا (ألدريتش).

وقبل أن يهضم (رودلف ألدريتش) الموقف أو يستوعبه، كان الترزى الخاص بالقيادة يأخذ مقاييسه، ولم تمض ساعة واحدة، حتى أرسل إليه زياً عسكرياً، يحمل رتبته الجديدة، في نفس الوقت الذي منحه فيه أحد ضباط الجستابو هويته الخاصة!

ومع منتصف الليل، كان الصحفي قد ودع حياته المدنية، وبدأ مرحلة عسكرية، لم تخطر بباله قط!!

وفي صباح اليوم بعد التالي، حملت الصحيفة الألمانية الأولى مقال (رودلف ألدريتش)، الذي تحدث فيه عن رتبته الجديدة، ومدى فخره بها، واعتزازه بالجيش النازي، الذي لا يقهر (وهذا ما وصفه به بالضبط) ..

وفى (لندن) ، غمر الحماس فريق (جون) ، وبدا أفرادهم منتشين تمامًا بنجاحهم المدهش ، الذى جعل جاسوسهم الأول أحد أفراد القيادة العسكرية النازية ، فى زمن الحرب ..

أما (جون) نفسه ، فقد بدأ هادئًا متماسكًا ، بل أقرب إلى البرود ، وهو يتطلع إلى أفراد فريقه فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

- ما حدث سيضاعف من أعباء (ألدريتش) ومسئوليته ، وسيجعل مهمته أكثر صعوبة ، وهذا ليس فى صالح خطتنا .. أبدًا .

ران على أفراد الفريق صمت مطبق ، وتخيل الكل أن تقديرهم للموقف كان خاطئًا تمامًا ، لولا أن تابع (جون) ، فى حزم أكثر :

- ولكن علينا أن نجيد استغلال الموقف ، وإلى أقصى حد ممكن .

وتنفس أفراد الفريق الصعداء ..

وتحت إشراف (جون) ، بدعوا مرحلة جديدة ، فى التعامل مع جاسوسهم الأول ، فى قلب القيادة النازية ..

كان التصريح الذى يحملة ، يمنحه حرية حركة كبيرة ، لا بد من استغلالها إلى أقصى حد ، وتطوير الجاسوس فى الوقت ذاته ، بحيث يمكنه الحصول على معلومات أفضل ، وبوسائل أكثر دقة ..

وبناءً على مكتبة سرية ، بدأ (ألدريتش) مرحلة تدريبات خفية ، فى قلب (برلين) ..

فى تلك المكتبة القديمة ، وعلى يد العجوز ، تلقى الصحفى المنشقى تدريبات مكثفة ، على استخدام اللاسلكى ، والكتابة بالحبر السرى ، والتصوير الدقيق ، وجمع المعلومات ..

ومع نهاية الدورة ، التى استغرقت أسبوعين فحسب ، شعر (ألدريتش) أن كفاءته قد تضاعفت مرتين على الأقل ، وأن باستطاعته الآن القفز إلى مستويات جديدة ..

مستويات لم تخطر بباله من قبل قط ..

وعبر قنوات جديدة ، وباستخدام جهاز اللاسلكى فى المكتبة ، ومن خلال اتصالاته وعلاقاته ، والاجتماعات التى ينضم إليها بنفسه ، فى مقر القيادة ، راح (رودلف ألدريتش) يرسل فيضًا من المعلومات إلى المخابرات البريطانية ، مما أفادها كثيرًا فى المرحلة التالية ، وخصوصًا بعد سقوط (فرنسا) ، واستقرار قوات (هتلر) فى قلب (أوروبا) ..

ولأنه صار لسان القيادة فى أشهر وأكبر الصحف الألمانية ، بدأ الجنرالات يتعاملون معه ببساطة وثقة ، زال معها توتره تمامًا ، وصار أكثر تماسكًا وثقة بالنفس ، مما ضاعف من لباقتة ولياقتة ، وصلاته القوية بالجميع ..

ولكن ثغرة كبيرة كهذه ، لم تكن بالأمر الذى يمكن أن يتغاضى عنه نظام الأمن النازى ، وبالذات عندما يكون على رأسه رجل ، مثل (هنريش هملر) ..

لقد أدرك الأمن أن هناك مصدرًا لتسريب المعلومات حتمًا ، وأن هذا المصدر يحتل موقعًا شديد الحساسية ، مما دفع (هملر) إلى مقابلة الفوهرلر ، ليخبره الأمر بنفسه ، ويقول :

- لو أردت رأى أيها الزعيم العظيم ، فكل جنرال فى القيادة هو موضع شك ، حتى يثبت العكس ، ولا بد من إجراء تحريات واسعة حول الموقف .

وانعقد حاجبا (هتلر) فى شدة ، وبدا عليه غضب عارم ، من مجرد فكرة وجود جاسوس ألماني ، يمكن أن يبيع وطنه للأعداء ، إلا أنه أجاب ، بمنتهى الحزم والصرامة ، وهو يلوح بيده بإشارة مبهمه :

- افعل ما يحلو لك يا (هملر) .. لا نريد جواسيس بيننا .

ومع عبارة كهذه ، كان من الطبيعى أن ينطلق (هملر) .. وإلى أقصى حد ممكن ..

وخلال شهر كامل ، تم استجواب كل جنرال فى القيادة كلها ، وبلغ الأمر ببعضهم حد الخضوع لمصل الحقيقة ..

والعجيب أن هذه الاستجوابات المكثفة ، ولسبب ما ، لم تشمل (رودلف ألدرينش) أبدًا ، بل ولم يتطرق إليه الشك على الإطلاق ..

وعلى الرغم من أن تسرب المعلومات لم يتوقف ، إلا أن استجوابات (هملر) لم تبلغ ما كان ينتظره ويتوقعه ..

ولم يمنع هذا من الإيقاع بجاسوسين ، من جنود مقر القيادة ، وإعدامهما رميًا بالرصاص ، فحاول (هملر) إقناع نفسه ، وإقناع القيادة كلها ، بأنه قد أنجز مهمته بنجاح ..

ولكن نزييف المعلومات لم يتوقف ..

لقد واصل (ألدرينش) عمله ، وبدأت القوات النازية تعاني من ضربات موجعة ، وهزائم قوية ، وخصوصًا على الجبهة السوفيتية ..

ومع أوائل عام ١٩٤٣م ، اضطر (هملر) ، أمام اندحار الجيش النازي ، في مواضع عديدة ، إلى الاعتراف بأن ثقب المعلومات لم يرتق بعد ..

وكان عليه أن يجرى استجوابًا آخر ، أكثر اتساعًا ..
وأكثر دقة ..

وفي هذه المرة ، شملت قائمة المستجوبين اسم (رودلف ألدريتش) ..

ولكن (هملر) لم يلجأ إلى الأسلوب المباشر ، كما فعل من قبل ..

لقد قرّر ، في هذه المرة ، مراقبة كل من يعمل بالقيادة ، ومتابعتهم سرًا ، وكشف كل ما يحاولون إخفاءه من معلومات ، حتى لو تعلقت بحياتهم الشخصية ..

ولقد أسفرت المراقبة عن كشف العلاقة السرية لثلاثة من الجنرالات بسكرتيراتهم ، وانحراف زوجة جنرال رابع ، و...

وكشف أيضًا تردد (ألدريتش) الكثير على تلك المكتبة البسيطة ..

وهنا ، ولأنه ذكي ومحترف ، ربط (هملر) الأمور ببعضها ، وأمر رجاله باقتحام المكتبة فجر اليوم التالي !
وبمنتهى العنف !!

٧ - سقوط ..

عبر جواسيس و عيون آخرين ، فى قلب (برلين) ، بلغت (جون) وفريقه أخبار تلك الشكوك الرهيبة ، التى ملأت نظام الأمن النازى ، تجاه كل العاملين فى مقر قيادة النازى ..

وباستثناء (هتلر) شخصياً ، قرّر (هملر) مراقبة الجميع ..

وأدرك (جون) وفريقه هذا ..

وفى اجتماع عاجل لهم ، واجه (جون) فريقه ، قائلاً :

- سقوط (ألدريتش) أصبح حتمياً هذه المرة ، ولا بد من

استعادته بأى ثمن .

قال أحد شباب الفريق فى توتر :

- ولكن الأمور مشتتة إلى أقصى حد ياسيدى ، ولا يمكننا

إنهاء عملية الآن .. نحن بحاجة إلى كل ما يرسله ، أكثر

من ذى قبل .

مال (جون) نحوه ، قائلاً :

- لو لم نستعدده الآن ، فقد يعنى هذا القضاء عليه نهائياً .

تبادل أفراد الفريق نظرة صامتة ، قبل أن يقول أحدهم ، معبراً عن رأى الجميع :

- معذرة ياسيدى ، ولكننا نقبل المخاطرة .

تراجع (جون) فى مقعده ، متسائلاً :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط !؟

أجابه الرجل فى حزم :

- مادمنا نحتاج إلى ما يرسله (ألدريتش) من معلومات ،

وما دام ألمانياً ، ويدرك جيداً ما يواجهه من خطر ، فى حالة

كشف أمره ، فنحن نرغب فى إبقائه فى موقعه ، وعدم

استعادته ، حتى يمكننا الاستفادة بالعملية ، حتى اللحظة الأخيرة .

تساءل (جون) مستكراً :

- حتى لو كان هذا على حساب حياته !؟

وهنا أجابه آخر ، بمنتهى الحزم :

- نعم ياسيدى .. حتى لو كان هذا على حساب حياته !

ولأن قراراً كهذا ليس بالأمر البسيط ، ولأن هذه أول مرة

تنقسم فيها الآراء ، بين (جون) وفريقه ، فقد لاحتاج منهم الأمر

إلى مناقشات طويلة محتدمة ، استغرقت منهم الليل كله ..

وقبل أن ينفذ اجتماعهم ، أو ينتهوا إلى قرار ما ، كان رجال (الجستابو) فى (برلين) يفتحون تلك المكتبة البسيطة ، التى اعتاد (ألدريتش) التردد عليها ..

وبمنتهى العنف ..

ولأن رجال (الجستابو) مدربون على أعلى مستوى ، فقد أمكنهم ، بقليل من الجهد والبراعة ، التوصل إلى جهاز اللاسلكى ، ومخزون الأحبار السرية ومظهراتها ، وعدد من (الميكروفيلم) الخام ، وفيلمين يحملان صور وثائق نازية ، على أعلى مستوى من السرية ..

وفوراً ، وعلى الرغم من أن الساعة لم تكن قد تجاوزت السابعة صباحاً بعد ، تم إبلاغ (هنريش هملر) بالأمر ..

وقبل حتى أن يكتمل الإبلاغ ، كان (هملر) قد أدرك موضع الثغرة ، التى تتسرب عبرها المعلومات السرية ، من مقر قيادة النازى ..

وفوراً ، أصدر أمره بإلقاء القبض على (رودلف ألدريتش) ..

وفى السابعة والرابع صباحاً ، اقتحم فريق آخر ، من ضباط (الجستابو) حجرة (ألدريتش) ، فى مقر القيادة ..

وهناك عثروا على كل ما يثبت تورط الصحفى ، فى لعبة الجاسوسية ، لحساب المخابرات البريطانية .. ولكنهم لم يعثروا على (ألدريتش) نفسه ..

فوفقاً لأقوال حراس المقر ، غادره (ألدريتش) فى السادسة صباحاً ؛ ليترى كعادته ، ولم يعد إليه بعد ..

وفى السابعة والنصف ، تم إبلاغ (هملر) بهذا ، فأصدر أمره بانتظار عودة (ألدريتش) ، واعتقاله فور ظهوره .. وبلغت عقارب الساعة الثامنة ..

ثم الثامنة والرابع ..

ولم يعد (ألدريتش) ...

وفى الثامنة والنصف ، أدرك (هملر) وضباطه أن (رودلف ألدريتش) لن يعود أبداً إلى مقر قيادة النازى ؛ لأنه قد أدرك ، بوسيلة ما ، أن أمره قد افترسح وانكشف ..

وهنا ، أصدر (هملر) أمراً بتوزيع نشرة بأوصاف (ألدريتش) ، عبر أجهزة الاتصال اللاسلكية ، إلى كل نقطة مراقبة أو نقطة حدود ، فى كل بقعة يسيطر عليها الجيش النازى ، فى طول (أوروبا) وعرضها ..

أما (ألدريتش) نفسه ، فحتى السادسة والرابع صباحاً ، وبعد أن خرج للتريض بالفعل ، وفقاً لعادته اليومية ، لم يكن يدرى شيئاً قط ، عما يحدث من حوله ..

ثم قادته قدماه إلى منطقة قريبة من تلك المكتبة البسيطة ، حتى رأى قوات (الجستابو) داخلها وحولها ..

وهنا أدرك أن أمره قد انكشف ، وما هي إلا ساعة أو يزيد ، حتى تطبق عليه قبضة زبانية النازية ، بلارحمة أو هوادة ..

وبسرعة ، صنعها الخوف وصاغتها غريزة البقاء ، وغزلت خيوطها روح صحفى قديم ، استولى (ألدريتش) على سيارة عسكرية ، بموجب التصريح الخاص الذى يحمله ، وانطلق بها محاولاً الفرار ، وهو يتوقع مطاردة رهيبه خلفه ..

ومن حسن حظه أن مركزية القرار قد أضاعت دقائق ثمينة للغاية ..

دقائق بلغت ما يزيد عن ساعة كاملة ، قطع هو خلالها مسافة كبيرة ، فى اتجاه الحدود ..

كانت أقرب حدود ، غير خاضعة للسيطرة النازية ، تبعد مسافة رهيبه ، يحتاج قطعها إلى ساعات وساعات ؛ لذا فقد هداه تفكيره الصحفى إلى أن يتجه إلى مطار عسكري ، وصله فى الثامنة ، ليبرز تصريحه الخاص جداً ، ويوهم الكل بأنه فى مهمة سرية عاجلة ، لحساب الفوهرل شخصياً ، وأنه يحتاج إلى طائرة فوراً ..

ولأنه شخصية شهيرة ومعروفة ، ومقالاته تشي بعلاقاته القوية بالفوهرل ، ووزير دعايته ، ومعظم جنرالات قيادته ، ولأنه يحمل تصريحاً خاصاً جداً ، يطالب الكل بالتعاون معه بلا حدود ، فقد استجاب له قائد المطار على الفور ، ومنحه طائرة مع طيار محترف ؛ لنقله حيثما يريد ..

وفى الثامنة والثلاث ، كانت الطائرة تحلق به ، فى سماء (ألمانيا) النازية ، فى طريقها إلى الحدود السويسرية مباشرة ..

وفى الثامنة والنصف ، تم توزيع نشرة أوصافه ..

وأدرك قائد المطار المصيبة التى وقع فيها ، ورأى أن أفضل ما يفعله ، فى موقف كهذا ، هو أن يبلغ القيادة بما حدث ، ويطلب من الطيار العودة بالطائرة إلى المطار فوراً ..

ولأن نظم الاتصالات اللاسلكية لم تكن متطورة ، فى ذلك الزمن ، لم تكن هناك وسيلة لإبلاغ الطائرة ، إلا عبر الإشارات الضوئية ، فى المطارات التى تمر بها ..

أما القيادة ، فلم تكذ تتلقى الخبر ، حتى جن جنون (هملر) ، وطلب استعادة (ألدريتش) ، أو منعه من الفرار بأى ثمن ، حتى لو اقتضى الأمر إسقاط الطائرة التى يستقلها ..

وفى الطائرة نفسها ، حاول (ألدريتش) عبثاً أن يسترخى ، وهو يجلس فى مقعد خلف الطيار مباشرة ، إلا أنه عجز عن هذا تماماً ، مادام يدرك أنه مازال فوق أراض يسيطر عليها النازيون ..

وفى تلافيف عقله ، استعاد قصته كلها منذ البداية ، وعلى الرغم من موقفه المتوتر ، شعر بشيء من الارتياح ؛ لأنه لم يعد مضطراً للتظاهر بعكس ما يؤمن ، ولا لكتابة مقالات حماسية ، تؤيد نظاماً يبغضه ..

وبينما استغرق فى ذكرياته وأفكاره ، فوجئ بالطيار يقول فى دهشة :

- عجباً ! إنهم يستخدمون إشارات ضوئية ، تطالبنا بالعودة فوراً إلى المطار .

اعتدل (ألدريتش) ، فى توتر شديد ، وقال بلهجة ، حاول أن يدفع فيها كل ما أمكنه من صرامة :

- أكمل طريقك يا رجل ..

هزّ الطيار رأسه فى إصرار ، قائلاً :

- معذرة يا سيدي ، ولكن لا يمكننى هذا أبداً .. صحيح أن الحدود السويسرية على مسافة كيلومترات قليلة ، إلا أن القواعد تحتم الاستجابة لأمر العودة فوراً ..

سرى توتر شديد فى أعماق (ألدريتش) ، فانتزع المسدس الذى سلموه إياه ، لأول مرة فى حياته كلها ، من غمده ، وصوبه إلى رأس الطيار ، قائلاً بكل العصبية :

- امض فى طريقك ، وإلا نسفت رأسك بلا رحمة ..

ولم يدر الطيار ما يفعله ، وحاول أن يناقش الأمر ، إلا أنه لم يجد لحظة واحدة للتفكير ، أو اتخاذ القرار ..

ففجأة ، وقبل أن ينطق بحرف واحد ، أصابت قذيفة من قذائف المدفعية الألمانية ذيل الطائرة ..

ودوى الانفجار !

بقوة !!

٨ - مطلوب حيًّا أو ميتًا ..

فجأة ، وبلا مقدمات ، دوى الانفجار ، الذى أطاح بذيل الطائرة الألمانية بمنتهى العنف ، فاختل توازنها ، وراحت تتأرجح على نحو مخيف ، والطيار يصرخ :

- لا فائدة .. حاول استخدام المظلة .. ستفجر الطائرة حتمًا .

كانت الطائرة تهوى مشتعلة ، بزاوية حادة ، وبسرعة مخيفة ، ولم يكن (ألدريتش) قد استخدم مظلات الهبوط الاضطرارى قط ، على الرغم من أنه يرتدى واحدة بالفعل ، منذ صعد إلى الطائرة ، ولكنه لا يدرى حتى كيفية استخدامها !

ولأن لحظات الخطر تولد فى المرء غريزة البقاء فحسب ، ولأن النيران كانت تتجه نحوه مباشرة ، فقد استجمع (ألدريتش) ما تبقى لديه من شجاعة ، ووثب من الطائرة ..

ومع سقوط جسده من ارتفاع كبير ، أصابه رعب شديد ، وراح يجذب كل حبل فى مظلة الهبوط ، والأرض تقترب .. وتقترب .. وتقترب ..

وبسرعة رهيبية ..

وأخيرًا ، جذب الخيط السليم ..

وانفتحت المظلة ..

ولأنها انفتحت على مسافة قريبة نسبيًا ، فقد خفضت سرعة الهبوط ، إلا أنها لم تبلغ بها حد الأمان ، مما جعل الهبوط قاسيًا إلى حد كبير ، شعر معه (ألدريتش) بآلام رهيبية ، تنبعث من قصبة ساقه اليسرى ، إلى جسده كله ..

وبكل ألم الدنيا ، استقر جسده أرضًا ، وهبطت المظلة لتخفيه كاملاً ، وراح هو يجاهد لإبعادها عنه ، و...

وفجأة ! سمع وقع أقدام تعدو نحوه ، مع فرقة أسلحة تتخبط ببعضها ، وكلمات لم تميزها أذناه جيدًا ..

وتضاعفت آلامه ألف مرة ..

تضاعفت ، وهو يتصور أن القوات النازية ستطبق عليه خلال لحظات ، لتعيده إلى (برلين) ، حيث سيحاكم ، ويعدم بلا رحمة ..

ناهيك عن الاستجواب الوحشى الرهيب ، وما ينتظره من عذاب بلا حدود ، فى قبو بيت الثعالب ، الذى تحتله قوات (الجستابو) ..

ثم فجأة! شعر بأياد تزيح المظلة عن جسده، وسمع صوتاً يسأله في قلق:

- أنت بخير!؟

ولم يشعر (ألدريتش) ، في حياته كلها ، بالسعادة والارتياح ، مثلما شعر بهما ، في تلك اللحظة ، على الرغم من آلام إصابته ، وكسر ساقه الرهيب ، عندما ميّز اللغة ، والزي الذي يرتديه الجنود ..

لقد سقط داخل الحدود السويسرية ، وليس في أية بقعة تتبع السيطرة النازية المخيفة ..

. وعلى الرغم من أن (ألدريتش) كان يرتدي زياً عسكرياً ألمانياً ، ويحمل هوية عسكرية على أعلى مستوى ، فقد افتتحت السلطات السويسرية ، وربما تحت ضغط من البريطانيين ، بأنه مجرد صحفي منشوق ، ومنحته حق البقاء داخل أراضيها ، في حين أبلغت النازيين بسقوط طائرتهم ، وانفجارها على أرضهم ..

وبعد تحقيقات محدودة ، فوجئ الكل باختفاء (رودلف ألدريتش) ، من كل الأراضي السويسرية ، قبل بدايات عام

١٩٤٤م ...

وفي (برلين) ، تصوّر (هملر) أن (ألدريتش) قد لقي مصرعه ، مع سقوط الطائرة ، خلف الحدود السويسرية ، إلا أن تقارير مراقبي الحدود أكدت أن شخصاً قد هبط من الطائرة بمظلة ، قبل سقوطها وانفجارها ..

وحتى يمسك العصا من منتصفها ، افترض (هملر) رسمياً ، أن (رودلف ألدريتش) مازال على قيد الحياة ، ووزع نشرة بأوصافه ، مع أمر عام بإلقاء القبض عليه ، فور ظهوره ..

ولكن (ألدريتش) لم يظهر أبداً ..

لقد تمت محاكمة العجوز ، صاحب المكتبة المتواضعة ، بتهمة الخيانة العظمى ، وأعدم رمياً بالرصاص ، على الرغم من سنوات عمره ، التي شارفت السبعين ..

واستمر البحث عن (ألدريتش) طويلاً ، وتم عرض مكافأة ضخمة ، للإيقاع به حياً أو ميتاً!

ولم يحصل أحد على تلك المكافأة قط !!

ليس لأنهم لم يعثروا على (ألدريتش) فحسب ، ولكن لأن (ألمانيا) كلها قد انهزمت ، واندحرت ، وانهارت تماماً ، مع هجوم الحلفاء ..

وانتحر (هتلر) ، وضاع معه (هملر) و (جوبلز) ، وإن بقيت كل أوراق مقر القيادة أو معظمها ، ليستولى عليها الأمريكيون ، ويجدوا فيها اسم (ألدريتش) ، الذى لم يرفع أبداً ، من قائمة العاملين بالمقر ..

لذا ، ووفقاً لما حدث بعدها ، تم وضع اسم (ألدريتش) فى قائمة مجرمى الحرب النازيين ، المطلوب إلقاء القبض عليهم ، ومعاقبتهم على ما ارتكبه من جرائم ، فى حق الإنسانية والتاريخ ..

والمدهش أنه ، وعلى الرغم من هذا ، عاد (رودلف ألدريتش) مرة أخرى إلى (برلين) ..

عاد ، باعتباره البريطانى (جون مالكوم) ، مراسل واحدة من أهم الصحف الإنجليزية الكبرى فى (برلين) ..

وعندما عاد ، كان يجيد الإنجليزية إلى حد مدهش ، وكانت ملامحه قد تغيرت تماماً ، تحت إشراف فريق الخبراء ، فى المكتب السادس البريطانى ؛ إذ اصطبغ شعره الأشقر بلون أسود فاحم ، وأصبح له شارب كث ، ويرتدى منظاراً طبياً كبيراً ..

والأهم أنه كان يحمل جواز سفر بريطانى صحيح ..

وعلى الرغم من بحث الكل عنه رسمياً ، قضى (ألدريتش) عشر سنوات كاملة فى (برلين) ، بناءً على طلبه ؛ ليتابع إعادة البناء ، وإعادة تنظيم المجتمع ، سياسياً واقتصادياً ، ليتحول من نظام نازى ديكتاتورى بغيض ، إلى مجتمع ديمقراطى هادئ ومستقر ..

ولكنه لم يحتمل أبداً عملية بناء سور (برلين) ..

لم يحتمل قط فكرة شطر (ألمانيا) إلى قسمين ، أحدهما يحكمه السوفيت ، والآخر يحكمه ما تبقى من الحلفاء ..

وبعد اكتمال السور مباشرة ، ترك (ألدريتش) (ألمانيا) ، وحمل كل الأوراق ، التى منحتة إياها المخابرات البريطانية ، كمكافأة على تعاونه معها ، وتقدم بطلب الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى ما زالت تطالب برأسه .. رسمياً ..

والطريف أنه ، وعلى الرغم من الدقة الشديدة ، التى اتبعتها (أمريكا) ، فى فحص أوراق المهاجرين ، عقب الحرب العالمية الثانية ، حصل (رودلف ألدريتش) على تصريح بالهجرة ، واستقر فى ولاية (ألينوى) الأمريكية بالفعل ، فى عام ١٩٥٩ م ..

وتحت اسم (جون مالكوم) ، عمل (ألدريتش) فى صحيفه محليه ، كتب فيها عددًا من المقالات ، عن تاريخ وأسرار الحرب العالميه الثانيه ، وراح يهاجم النظام النازى القديم ، وكل النظم التى تسير على نهجه ، فى كل مكان فى العالم القديم والجديد ..

ومع أوائل عام ١٩٦٢م ، كانت شهرة مقالات (ألدريتش) المحليه قد بلغت حدًا كافيًا ؛ لينتقل للعمل فى صحيفه كبرى فى (نيويورك) ، حيث أنشأ جميعه لتاريخ الحرب ، وجمع مقتنياتهما ، وتذكاراتها ..

ومع منتصف عام ١٩٦٦م ، حصل (رودلف ألدريتش) ، على جائزة خاصة ، باعتباره أكبر جامع لتذكارات الحرب العالميه الثانيه ، وعلى شهادة تقدير ، كأحد أهم وأشهر مؤرخى تلك الفتره ..

وفى نشاط وحماس منقطعى النظر ، قاد حملة كبرى ، للبحث عن مجرمى الحرب النازيين ، واصطيادهم ، من كل مكان فى العالم ، ووضع مكافآت خاصة للظفر بهم ، من حسابه الخاص ، ومن حساب تبرعات كل مناهضى النازيه ..

والمدهش أن القائمه ، التى راح يطاردها ، ويسعى لاصطيادها ، بكل هذا الحماس ، كانت تضم اسمه الحقيقى ..

اسم (رودلف ألدريتش) ..

ولقد أوقعت حملته بأحد عشر جنرالاً نازياً ، من الذين فروا عقب الحرب ، إلى (أمريكا) ، و(إفريقيا) ، و(البرازيل) .. ولم ينكشف أمره قط !!

وفى عام ١٩٨٢م ، ودون أن يتزوج ، أو تكون له أسرة ، مات (رودلف ألدريتش) فى فراشه فى هدوء ، فى منزل بسيط ، فى ضواحي (نيويورك) ، وشهدت جنازته أعداد كبيرة من قرائه ، ومؤيديه ، وأعضاء الجمعيات التى أنشأها ..

ووسط هذا الحشد الهائل ، الذى حضر الجنازة ، لم ينتبه أحد إلى ذلك البريطانى العجوز ، ذى الشعر الأشيب ، والشارب الضخم ، والذى يحمل وجهه آثار نمش قديم ، يوحى بأن ذلك الشعر كان يوماً أحمر ملتهباً ..

ففى هدوء ، وبمساندة اثنين من أبنائه ، شهد (جون) جنازة (ألدريتش) ، وألقى زهرة على تابوته ، وكأنما يعلن بها نهاية أهم وأقوى عملية ، فى حياته المخبرانية كلها ..

عملية الألمانى الثائر ..

والمنشوق .

تمت بحمد الله



د. نبيل فاروق

روايات مصرية للجيب

حرب الجواسيس

المنشقة

صفحة

العزف على أوتار الخطر ٥

موسوعة الجاسوسية (إم إس إس) ١٩

الخدعة الطبية (قصة واقعية) ٢١

موسوعة الجاسوسية (المخابرات التقنية) ٢٦

الشانعة (جاسوسية عالمية) ٢٩

موسوعة الجاسوسية (أمتورج) ٥٥

مذكرات رجل مخابرات :

١١ أخطر مرحلة ٥٧

جاسوس للبيع (جاسوسية عالمية) ٧١

موسوعة الجاسوسية (المخابرات النفسية) ٩٩

موضوع العدد :

المنشقة ١٠٣

ماذا تقترح؟! ١٧٤

ح

الثلث في مصر ٣٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي

في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية للدراسات والبحوث

للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية

٨ شارع المنطقة الصناعية بالمنطقة رقم البريد ١١٣٨١

ت. ٢٠٩٢٨٢٠٢ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧



مطابع



٢٠٠٥/٧/١٠